Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

Critical Analysis Of The Theological Discourse In The Early 20th Century: A Study Of The Reactions To The Appeal To Atheism In Ismail Adham's Monograph

Hoda A. Baz
Faculty of Al- Alsun, Ain Shams University, Egypt.
Hagiobaz@alsun.asu.edu.eg

Received: 18-5-2023 Revised: 4-6-2023
Accepted: 9-7-2023 Published: 14-7-2023

DOI: 10.21608/JSSA.2023.211895.1511
Volume 24 Issue 5 (2023) Pp. 184-210

Abstract

This study is concerned with the great intellectual battle that arose in the early 20th century due to the article of Dr. Ismail Adham (1940) "*Why am I an Atheist*?" which was published in *The Imam* magazine to express his happiness at becoming an atheist who takes upon himself the responsibility of spreading the atheist thought. Dr. Ahmed Zaki Abu Shadi (1955) reacted to this article with a lecture that was published, later, in *"Adaby"* magazine under the title: "*Why am I a Believer?*" Likewise, Mr. Mohamed Farid Wajdi (1954), responded to Adham's article with a philosophical study published in *Al -Azhar* magazine. This study is entitled: "*Why is he an atheist?*". Similarly, Sheikh Yusuf Al-Dajawi (1946) replied back with a series of articles published in *Al -Azhar* magazine under the title: "*A Great Violation that can't be Tolerated*". The present study highlights the semantic and the formal textual structures of the discourses of atheism and that of faith that attacks it with a view to protect Islam against all the atheist media appeals that seek to affect and influence public opinion. These attempts reveal how *Ismail Adham* tried to spread his ideas through language, and how the Arab muslim community received this discourse and read it, refuting his claims. The study adopts the Critical Discourse Analysis (CDA) as its theoretical framework, and aims, through the sociocognitive approach of Van Dijk, to underline the fact that every discourse has certain textual structures that disclose the point of view of its maker, his beliefs as well as his ideologies. The study also aims to highlight the fact that every discourse establishes in the readers certain cognitive attitudes that fuse with the discourse maker's cognitive representations, in a manner that practises authoritarian power which, in turn, seeks to maintain social dominance.

Keywords: Critical Discourse Analysis, Text Structures, Theological Discourse.

التحليل النقدي للخطاب العَقَدِيّ في أوائل القرن العشرين: دراسة لردود الأفعال تجاه دعوى الإلحاد في رسالة إسماعيل أدهم

د/ هدى عبد الغني إبراهيم باز
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ـ كلية الألسن، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.
hagiobaz@alsun.asu.edu.eg

المستخلص:

تُعنى هذه الدراسة بالمعركة الفكرية الكبيرة التي نشأت في ثلاثينيات القرن العشرين عن مقالة د. إسماعيل أدهم (ت١٩٤٠) "لماذا أنا ملحد؟" التي نشرتها مجلة الإمام ليعبر فيها عن سعادته بالإلحاد ونشره للفكر الإلحادي، وإنكاره لعقيدة الألوهية التي تحدث عنها د. أحمد زكي أبو شادي (ت١٩٥٥) في محاضرة نُشرت ملحقًا بمجلة "أدبي"؛ فرد عليه د. أحمد زكي أبو شادي ببحث "لماذا أنا مؤمن؟" الذي نُشر ملحقًا لمجلة "أدبي"، ورد عليه الأستاذ محمد فريد وجدي (ت١٩٥٤) بدراسة فلسفية نُشرت على صفحات مجلة الأزهر بعنوان "لماذا هو ملحد؟"، كما رد عليه من علماء الأزهر الشيخ يوسف الدجوي (ت١٩٤٦) بسلسلة من المقالات نُشرت في مجلة الأزهر بعنوان "حدث جلل لا يمكن الصبر عليه"، فتبين الدراسة البنية النصية الدلالية والشكلية لكلٍ من الخطاب الإلحادي، والخطاب العقدي المدافع عن العقيدة الإسلامية ضد الدعوات الإلحادية، واللذين شكلا خطابًا إعلاميًا يهدف إلى التأثير والإقناع. تتخذ الدراسة من التحليل النقدي للخطاب Critical Discourse Analysis إطارًا نظريًا، من خلال المقاربة المعرفية الاجتماعية Sociocognitive Approach لفان دايك Van Dijk التي ترى أن كل خطاب بما يحمله من بنى نصية وعلاقات تفاعلية يعبر عن وجهة نظر صانعه وأيديولوجيته فكره واعتقاده ، ويستهدف بناء مسلمات معرفية تنصهر مع تمثيلاته الإدراكية، ممارسًا بذلك سلوكًا سلطويًا يسعى للهيمنة الاجتماعية.

الكلمات الدالة: التحليل النقدي للخطاب، البنى النصية، الخطاب العَقَدِيّ.

مقدمة:

تُعنى هذه الدراسة بالمعركة الفكرية الكبيرة التي نشأت في ثلاثينيات القرن العشرين عن مقالة د. إسماعيل أدهم (ت١٩٤٠) "لماذا أنا ملحد؟" التي نشرتها مجلة الإمام ليعبر فيها عن سعادته بالإلحاد ونشره للفكر الإلحادي، وإنكاره لعقيدة الألوهية التي تحدث عنها د. أحمد زكي أبو شادي[١] (ت١٩٥٥) في محاضرة نُشرت ملحقًا بمجلة "أدبي"؛ فرد عليه د. أحمد زكي أبو شادي ببحث "لماذا أنا مؤمن؟" الذي نُشر ملحقًا لمجلة "أدبي"، ورد عليه الأستاذ محمد فريد وجدي[٢] (ت١٩٥٤) بدراسة فلسفية نُشرت على

[١] أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢- ١٩٥٥) طبيب، وأديب، وشاعر، ونحال، ولد بالقاهرة وتعلم بها وبجامعة لندن، عمل بوزارة الصحة إلى أن صار وكيلاً لكلية الطب بجامعة القاهرة، هاجر إلى نيويورك سنة ١٩٤٦، وكتب في بعض صحفها العربية، وعمل في التجارة والإذاعة، ودرَّس بها العربية. من دواوينه الشعرية: الشفق الباكي، وأطياف الربيع، وأنين ورنين. أنشأ لنشر منظوماته مجلتين؛ هما: أدبي، وأبولو. راجع: الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢، ١/ ١٢٧، ١٢٨.

[٢] محمد فريد وجدي (١٨٧٨- ١٩٥٤) من الكُتاب الفضلاء الباحثين، ولد ونشأ بالإسكندرية، سكن بالقاهرة وعمل بوظيفة صغيرة بديوان الأوقاف، أصدر عددًا من المجلات مثل: الحياة، والدستور، والوجديات. تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر نيفًا وعشر سنين، واعتزلها قبل وفاته بعامين. له العديد من المؤلفات؛ منها: "صفوة العرفان" وهو تفسير موجز للقرآن، "الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية"، راجع: الزركلي: الأعلام، ٦/ ٣٢٩.

صفحات مجلة الأزهر بعنوان "لماذا هو ملحد؟"، كما رد عليه من علماء الأزهر الشيخ يوسف الدجوي[١] (ت١٩٤٦) بسلسلة من المقالات نُشرت في مجلة الأزهر بعنوان "حدث جلل لا يمكن الصبر عليه"، فتبرز البنى النصية لهذا الخطاب الإلحادي الجريء المنشور في مجتمع مسلم عبر وسيط إعلامي، وردود الأفعال المختلفة المفندة والمبطلة لما أتى في ذلك الخطاب من فكر إلحادي يشكل خطورة على المجتمع المصري خاصة والمجتمع العربي عامة.

تتخذ الدراسة من التحليل النقدي للخطاب Critical Discourse Analysis إطارًا نظريًا، من خلال المقاربة المعرفية الاجتماعية Sociocognitive Approach لفان دايك van Dijk التي ترى أن كل خطاب بما يحمله من بنى نصية وعلاقات تفاعلية يعبر عن وجهة نظر صانعه وأيديولوجيته، ويستهدف بناء مسلمات معرفية تنصهر مع تمثيلاته الإدراكية، ممارسًا بذلك سلوكًا سلطويًا يسعى للهيمنة الاجتماعية.

فتبين الدراسة البنى النصية الدلالية والشكلية لكلٍ من الخطاب الإلحادي، والخطاب العقدي المدافع عن العقيدة الإسلامية ضد الهجمات الإلحادية، اللذين شكلا خطابًا إعلاميًا يهدف إلى التأثير والإقناع؛ حيث تكشف عن كيفية محاولة إسماعيل أدهم نشر أفكاره بواسطة اللغة، وكيفية تلقي المجتمع العربي المسلم لهذا الخطاب وقراءته له قراءة مفندة داحضة لمزاعمه.

وهناك العديد من الدراسات التي عُنيت بهذا الإطار النظري وطبقته على نصوص أدبية مختلفة مثل دراسة د. عزة شبل "علم لغة النص ـ النظرية والتطبيق"، ودراسة د. حسام فرج "نظرية علم النص"، لكن لم يُرصد تطبيقًا لهذا الإطار النظري على خطابات عقدية كالخطاب موضوع الدراسة.

أقسام الدراسة:

مقدمة؛ تتضمن موضوع الدراسة، وأهميته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وأقسامه.

تأسيس نظري؛ يعرض للتحليل النقدي للخطاب ومفهومه ونشأته ومقارباته المختلفة.

المبحث الأول؛ بعنوان "السياق المعاصر لمعركة الإيمان والإلحاد"، ويحلل عناصر السياق المصاحبة لخطابي الإلحاد والإيمان.

المبحث الثاني؛ بعنوان "البنى الدلالية"، ويعرض لعدد من المفاهيم المرتبطة بالبنى الكبرى لخطابي الإلحاد والإيمان.

المبحث الثالث؛ بعنوان "البنى الشكلية"، ويعرض للبنى العليا الممثلة في الأبنية التنظيمية الموظفة في هذا الخطاب ويحللها.

الخاتمة؛ وبها أهم النتائج التي تتوصل إليها الدراسة.

تأسيس نظري:

التحليل النقدي للخطاب (مفهومه ـ نشأته ـ مقارباته)

[١] يوسف نصر الدجوي (١٨٧٠- ١٩٤٦) من أكابر علماء القرن الرابع عشر الهجري، درس في الأزهر الشريف، وحصل على الشهادة العالمية بتفوق، كان عضوًا بجماعة كبار العلماء، رأس تحرير مجلة الأزهر في بداية تأسيسها وبقي على موافاتها ببحوثه حتى وفاته. لمزيد من المعلومات عنه راجع: يوسف الدجوي: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، مصر، ١٩٨١، ١/ ٣-٩.

"إن التحليل النقدي للخطاب أحدث مقاربات تحليل الخطاب ذي التوجه اللساني. وتُعنى بدراسة العلاقات الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع، والسلطة التي تكرسها تلك العلاقات على صعيد الممارسة الاجتماعية، وما تحدثه من تغيرات اجتماعية"[١]

فيُعنى بوصف "هياكل المادة اللغوية للخطابات، وتحلل تفاعلاتها وتداولاتها واستعمالاتها في سياقات اجتماعية فعلية ... مما يسهم في تفسير الممارسة الاجتماعية موضوع الخطاب، بغية فضح وظائف السلطة اللغوية وأطماع الهيمنة الناتجة عن التوظيف اللساني المخصوص"[٢]

وقد كان ارتباط الدراسة اللغوية الناقدة للخطاب بالممارسات الاجتماعية سببًا في انفتاحها على حقول معرفية شتى؛ حيث أصبح التحليل اللغوي للخطاب صوتيًا وصرفيًا وتركيبيًا ودلاليًا مدخلاً لتفسير التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

يعد نورمان فيركلف Norman Fairclough مؤسس التحليل النقدي للخطاب بإصداره كتاب "اللغة والسلطة" في الثمانينيات من القرن العشرين[٣]، ثم توالت من بعده الأعمال التي اهتمت بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع والسلطة، مثل أعمال: فان دايك Van Dijk وروث فوداك R. Wodak وكريس غانتر Kress Gunther وغيرهم.

ويضم التحليل النقدي للخطاب مجموعة من المقاربات التي تسعى إلى كشف العلاقات بين استعمال اللغة والبنيات الاجتماعية التي يجري فيها هذا الاستعمال، ومن ثم النظر في طبيعة هذا الاستعمال هل هو مُكَرِّس لعلاقات سلطة غير متساوية، وإذا كان كذلك فيجب معالجة هذا الخطأ الاجتماعي في مظاهره الخطابية والسعي إلى تصحيحه.[٤]

ومن مقاربات التحليل النقدي للخطاب المقاربة المعرفية الاجتماعية لفان دايك ـ التي تتخذها الدراسة إطارًا نظريًا ـ التي تقوم على مثلث الخطاب والإدراك والمجتمع؛ حيث يهتم فيها بدراسة التمثيلات الذهنية ومعالجات مستخدمي اللغة عندما ينتجون الخطاب ويدركونه، ويشتركون في تفاعلات لفظية ومعارف وأيديولوجيات عن المجموعات الاجتماعية الأخرى. كما يفحص هذا الأسلوب طرق ارتباط هذه الظواهر الإدراكية ببنى الخطاب والتفاعل اللفظي والأوضاع الاتصالية والبنى الاجتماعية[٥]؛ أي إن الخطاب يُنتج ويُفهم بناءً على عناصر معرفية تمثلها نماذج ذهنية (نماذج السياق).

كما أن التحليل النقدي للخطاب ينشغل ببنى الخطاب الكلية Macro-structures والجزئية Micro-structures معًا، فهو تركيب بين التحليل اللغوي وحالات الممارسات الاجتماعية، في أفق كشف ما يقتضيه التوظيف اللساني من سلطة وهيمنة.[٦]

ومن خلال هذه المقاربة يمكن الكشف عن الوسائل اللغوية التي وظفها إسماعيل أدهم في خطابه بهدف نشر أفكاره الإلحادية ودعوة المجتمع المسلم إلى الإلحاد، والكشف كذلك عن الوسائل اللغوية التي

---

[١] محمد يطاوي: مقدمة التحليل النقدي للخطاب (مفاهيم ومجالات وتطبيقات)، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ط١، ٢٠١٩، ص١٠.

[٢] السابق، ص١٠.

[3] Paul Baker and Sibonile Ellece, (2002), Key Terms in Discourse Analysis, London, New York, Continuum International Publishing Group, p26.

[٤] سعيد بكار: التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، مجلة الخطاب، الجزائر، مج١٦، ع ٢، جوان ٢٠٢١، ص٤٥٠.

[٥] فان دايك: دراسات الخطاب النقدي (المقاربة المعرفية الاجتماعية)، من كتاب "مناهج التحليل النقدي للخطاب"، تحرير: روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة: حسام فرج وعزة شبل، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٤، ص١٤٠، ١٤١.

[٦] محمد يطاوي: مقدمة التحليل النقدي للخطاب (مفاهيم ومجالات وتطبيقات)، ص١٢.

مارس بها أصحاب خطاب الإيمان السيطرة على المجتمع ليحافظ على عقيدته الصحيحة ويرفض خطاب الإلحاد، ويبطل دعواه مثبتًا حقيقة الإيمان بالله والتوحيد.

وقبل البدء في تحليل البنى النصية المُشَكِّلة للخطاب موضوع الدراسة، لا بد من رصد العناصر المعرفية من خلال تحليل السياق المعاصر لذلك الخطاب.

المبحث الأول: السياق المعاصر لمعركة الإيمان والإلحاد:

نشبت معركة الإيمان والإلحاد بسبب نشر إسماعيل أدهم رسالة "لماذا أنا ملحد؟" في مجلة الإمام في أغسطس ١٩٣٧، ثم إفراده لها في كراسة مستقلة تعميمًا للدعوة[١]؛ حيث زعم فيها قيام الكون على قانون الصدفة، وجهر فيها بإلحاده، مدعيًا شعوره بالاطمئنان والهدوء النفسي في ظل هذا الإلحاد، في دعوة ضمنية للمتلقين بأن يسلكوا مذهبه الإلحادي كي يصلوا إلى الهدوء النفسي نفسه. ونظرًا لأن شرارة المعركة بدأت مع خطاب الإلحاد، فلا بد من التعرف على عناصر السياق المُشَكِّلة لهذا الخطاب والمتمثلة في:

نوع الخطاب: يعد هذا الخطاب خطابًا عقديًا؛ حيث إنه يخص أمرًا من أشد الأمور حساسية في المجتمع المصري المسلم، وهو أمر العقيدة، وقد طعن في عقيدة الألوهية وأنكرها، مطلقًا دعوته إلى الإلحاد.

كاتب خطاب الإلحاد: إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا أدهم (١٩١١- ١٩٤٠)، عارف بالرياضيات، له اشتغال بالتأريخ، شعوبيّ. ولد بالإسكندرية لأب تركي ضابط بالجيش التركي، وأم ألمانية مسيحية، نشأ في ظل تربية إسلامية قاسية ومتشددة، ومسيحية فارغة متساهلة؛ مما أدى إلى نفوره من الأديان. حصل على تعليمه في الإسكندرية والآستانة، تعلم العربية والتركية والألمانية والروسية وقليلاً من الإنجليزية. اتجه في الثقافة إلى الميادين الفكرية والعلمية المناهضة للدين. غادر مصر إلى الآستانة سنة ١٩٢٧ مع حركة أتاتورك، ودرس الرياضيات في جامعة الآستانة وانضم إلى جماعة نشر الإلحادهناك. سافر في بعثة لدراسة الرياضيات والطبيعة في جامعة موسكو؛ حيث نال الدكتوراه، ثم نال دكتوراه ثانية في الميكانيكا الجديدة. عمق المناخ الماركسي الذي عاشه في روسيا النزعة الإلحادية عنده، فتخلص من أي إيمان ديني. عين مدرسًا للرياضيات في جامعة سان بطرسبرج، وانتخب عضوًا أجنبيًا في أكاديمية العلوم السوفييتية، وعهدت إليه جامعة فريبورج بالإشراف على طبع كتاب المستشرق سبرنجو، عن حياة محمد ﷺ، وانتخب وكيلا للمعهد الروسيّ للدراسات الإسلامية. انتقل إلى تركيا فكان مدرسا للرياضيات في معهد أتاتورك بأنقرة. وبها نشر كتابه "إسلام تاريخي" بالتركية. عاد إلى مصر سنة ١٩٣٦ فنشر رسالة "من مصادر التاريخ الإسلامي" (صادرتها الحكومة، ونشر رسالته في الإلحاد، وكتب في مجلات مصر والشام مقالات بالعربية. كان يعيش من ريع ملك صغير له في الإسكندرية، وأصيب بالسلّ، فتعجل الموت، فأغرق نفسه بالاسكندرية منتحراً[٢].

وقد ذكر الكاتب رجاء النقاش أنه ابن لأسرة مصرية فقيرة من الإسكندرية، تعلم تعليمًا محدودًا، امتاز بالذكاء الحاد. كذب على المجتمع وادعى أنه مستشرق نال الدكتوراه من روسيا. كتب كثيرًا في الرياضيات والطبيعة، وكان يعيش حياة تعيسة قاسية على قروش تأتي له من هنا أو هناك، ولم يكن الكذب

[١] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، من كتاب حوار الإيمان والإلحاد، دارسة وتحقيق: محمد عمارة، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، السنة التاسعة والأربعون، ٢٠١٨ ص٨٤.

[٢] محمد فريد وجدي وآخرون: حوار الإيمان والإلحاد، ص٩-١١ مقدمة المحقق، وإسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، منشور في كتاب "حوار الإيمان والإلحاد"، ص٥٢-٥٦، الزركلي: الأعلام، ١/ ٣١٠.

كافيًا فلجأ إلى التحدي وألَّف كتابًا بعنوان: "لماذا أنا ملحد؟"، الذي عُدَّ من أخطر الكتب وأجرأها في الثقافة العربية، وقد أغرقته الديون وطاردته لقمة العيش، وعجز عن الحصول على مأوى يجميه فاختار الانتحار، وقد أكد الذين عرفوه عدم معرفته باللغات الأوروبية.[١]

كما ذكر الشيخ مصطفى صبري أن معرفته باللغة التركية كانت محدودة لا تكفيه لدخول المدارس العالية والثانوية، وقد استغله ملاحدة مصر وجعلوا منه فيلسوفًا في أحدث طراز حامل الشهادات من روسيا أو ألمانيا ومؤلف كتاب لماذا هو ملحد.[٢]

مما سبق يتبين أن إلحاد أدهم ناتج عن نشأته في ظروف اجتماعية قاسية أدت إلى كراهيته للدين وتبعاته، كما أنه ناتج عن تأثره بأفكار غربية نشرها أصحاب النزاعات الإلحادية في أنحاء العالم. كما يتبين أن إلحاده لم يؤد به إلى الاطمئنان النفسي والسكينة ـ كما زعم ـ بدليل موته منتحرًا يأسًا من الحياة.

الدافع الذي وَلَّد هذا الخطاب: محاضرة بعنوان "عقيدة الألوهية" ألقاها أحمد زكي أبو شادي في ٣ نوفمبر ١٩٣٦، ونُشرت ملحقًا بمجلة "أدبي"، نحا فيها منحًى صوفيًا جمع بين العقل والقلب والفطرة في إثبات الألوهية[٣]، فقد استفزته هذه المحاضرة وقرر كتابة رسالة يبطل بها عقيدة الألوهية، ويجهر فيها بمعتقداته الإلحادية.

الهدف من خطابه: الدعوة لنشر الفكر الإلحادي في المجتمع؛ حيث تحدث في خاتمة رسالته عن الصعوبات التي تواجهه حينما يدعو الناس إلى تصديق نظريته عن قيام العالم على قانون الصدفة، فقال: "إن الصعوبة التي أرى الكثيرين يواجهونني بها **حينما أدعوهم** إلى النظر إلى العالم مستقلاً عن صلة السبب والنتيجة، وخاضعًا لقانون الصدفة الشامل ترد إلى قسمين ..."[٤]، بالإضافة إلى تأكيده في الخاتمة أيضًا على ثباته على عقيدته، واستمراره في الدعوة إليها؛ فقال: "لا أجد بدًا من الثبات على عقيدتي العلمية **والدعوة إلى نظريتي القائمة على قانون الصدفة الشامل** الذي يعتبر في الوقت نفسه أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله"[٥].

القناة: نشر رسالته عبر مجلة أسبوعية "مجلة الإمام"، وهي مجلة ثقافية لعامة الناس، يُعرف صاحبها مصطفى السحرتي برعاية حرية الفكر في المجتمع.

أدوار الخطاب: أي طبيعة المشاركين في الخطاب وحالتهم والعلاقات الدائمة والمؤقتة بينهم، وهي أيضًا طبيعة العلاقات الاجتماعية المتصلة بالكلام؛ مما ينعكس على اللغة التي يحملها الخطاب[٦]، ويلاحظ تباين العلاقات بين أدهم ومرسلي خطاب الإيمان؛ فالعلاقة بينه ومرسل خطاب "لماذا أنا مؤمن؟" علاقة ودية تضامنية؛ عبر عنها أحمد زكي أبو شادي بقوله: "كما لا بد لي من أن أشكر للدكتور أدهم صراحته في النقد بالرغم من مودته لي التي تجلت غير مرة في كتابته الأدبية عني"[٧]، كما أنه حرص عند إيراد ذكره في كل مرة أن يصحبه بلقبه العلمي "دكتور"، وكان رده عليه خاليًا من أي تسفيه لرأيه. وقد يكون

---

[١] رجاء النقاش: تأملات في تاريخ الإنسان، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٩، ط٦، ص٥٨- ٦٢.

[٢] مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ص٤٠٢.

[٣] محمد فريد وجدي وآخرون: حوار الإيمان والإلحاد، مقدمة المحقق، ص٤.

[٤] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، ص٦٦.

[٥] السابق، ص٦٦.

[٦] حسام فرج: نظرية علم النص، مكتبة الآداب، مصر، ٢٠٠٩، ص٢٨.

[٧] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، من كتاب "حوار الإيمان والإلحاد"، ص٦٨.

ذلك راجعًا إلى وجود علاقة مسبقة بينهما في المجال الأدبي، أو لعله قد أراد استقطابه إلى العقيدة الصحيحة بأسلوبه التضامني هذا.

أما العلاقة بين أدهم والأستاذ محمد فريد وجدي صاحب مقال "لماذا هو ملحد؟" فقد كانت علاقة رسمية خلت من مظاهر التضامن أو مظاهر التنابذ؛ فقد تحدث بموضوعية شديدة مفندًا كل ما أتى به إسماعيل أدهم في رسالته، وحرص دائمًا على تسمية إسماعيل أدهم بلقبه "الدكتور" أو "الكاتب".

بينما بدت العلاقة شديدة العدائية بين أدهم والشيخ يوسف الدجوي صاحب مقالات "حدث جلل لا يمكن الصبر عليه"، فقد أبى أن يذكر اسمه، واكتفى بأن أطلق عليه "ذلك الملحد" ناعتًا إياه بعددٍ من النعوت الدالة على الجنون والجهل، مطالبًا بضرورة اتخاذ موقف رسمي ضده.

ردود الأفعال: على الرغم من رفض الخطاب الإلحادي في المجتمع المصري المسلم؛ فقد تبيانت حدة الرفض، فهناك من غلب على خطابه الرافض الحدة وألب القنوات الشرعية على صاحب الخطاب، مثل الشيخ يوسف الدجوي الذي طالب بتدخل السلطات الرسمية، وقد لبت وزارة النحاس نداء الشيخ يوسف الدجوي واستجابت للدعوة التي قدمها شيوخ الأزهر ضد إسماعيل أدهم، وقامت النيابة بالتحقيق معه ومصادرة رسالته وتفتيش منزله فوجدت فيه رسالة (لماذا أنا ملحد؟) وملفات أخرى تحوي بعض نسخ من بحوث متعددة عن فلسفة النشوء والارتقاء، وكتاب "لماذا أنا ملحد؟" لراسل، ومظروفا يحوي أكثر من ثلاثين صفحة من كتاب بخطه يشرع في تأليفه ينكر فيه وجود الله ويؤكد إلحاده، وقد حالت جنسيته التركية وحالته الصحية بينه وبين السجن واكتفت النيابة بتحذيره وتعطيل مجلة الإمام التي نشرت الرسالة لأول مرة[١]. ومنهم من أقر بالحرية التي كفلها الدستور لكل مواطن ورد على صاحب الخطاب ردًا منطقيًا منظمًا، مفندًا كل الحجج التي وظفها، مثل: محمد فريد وجدي. ومنهم من رفض الخطاب ولكنه أبدى تضامنه ومشاعره الودية التي يحملها لكاتب الخطاب، بغض النظر عن موضوع الخطاب وما حمله من آراء وأفكار مثل: أحمد زكي أبو شادي.

المبحث الثاني: البنى الدلالية Macrostructures

تُعنى البنى الدلالية الكبرى Macrostructure بدراسة معانٍ أو موضوعات كلية، وهي تجسد المعلومات الأكثر أهمية للخطاب، والتي تعبر عن المحتوى العام للنماذج العقلية للأحداث؛ أي إنها تمثل المعنى أو المعلومات التي سوف يتذكرها معظم القراء بشكل أفضل في الخطاب، والتي يُعبر عنها بشكل جلي في العناوين والموجزات والملخصات والإعلانات[٢]. فهي بنى دلالية وسياقية تشكلت في الخطاب عبر بنى صغرى وعمليات تفاعلية وإدراكية[٣]. كما أنها تُعنى بـ"أوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصفه كلاً"[٤]. ويكشف هذا الفصل عن البنى الكبرى لخطابي الإلحاد والإيمان من خلال: تحليل عنوان الخطاب، وتحديد موضوعه عبر الكشف عن القواعد الكبرى التي يخضع لها الخطاب.

---

[١] راجع مقال منشور على موقع إسلام أونلاين:
https://islamonline.net/archive/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%A3%D9%86%D8%A7-%D9%85%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%9F/

[٢] فان دايك: دراسات الخطاب النقدي (المقاربة المعرفية الاجتماعية)، ص١٤٧.
Van Dijk: Critical Discourse Studies: A Sociocognitive Approach, P.68.

[3] Van Dijk (Teun A.), (1980), Macrostructures: An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse, Interaction, and Cognition, P.V.

[٤] فان دايك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط١، ٢٠٠١، ص٧٤.

البنى الكبرى لخطاب الإلحاد

أولاً: العنوان: يقدم العنوان وظيفة إدراكية مهمة تهيئ المتلقي لتفسير النص، ويعد العنوان جزءًا من البنية الكبرى؛ حيث يسمح للمتلقين بتذكر المعرفة المتصلة بالنص[١]، فعتبة العنوان تمثل عند فان دايك جزءًا رئيسًا من البنية الكبرى؛ حيث إنه مفتاح يقدم للمتلقي إضاءة كبرى عما يتضمنه النص من موضوع رئيس أو موضوعات جزئية.[٢]

يُلاحظ من عنوان الخطاب الإلحادي موضوع الدراسة "لماذا أنا ملحد؟" أنه جملة استفهامية، تحمل تساؤلاً حقيقيًا يجيب عنه الكاتب في صفحات رسالته؛ حيث إن الرسالة عبارة عن إجابة مفصلة تعلل إلحاد الكاتب وتبين أسبابه للمتلقين. فالعلاقة الدلالية بين عنوان النص وموضوعه علاقة سؤال بجواب.

كما أنه يحمل في باطنه دعوة لنشر الفكر الإلحادي في المجتمع المصري المسلم، وليس مجرد عرض لتجربة إلحادية ذاتية، وذلك من خلال ما أبداه في فقرات مقاله من مشاعر اطمئنان وسعادة مترتبة على إلحاده، يلاحظ ذلك في توظيفه للعلاقات السببية في نحو قوله:

- **"وكانت نتيجة** هذه الحياة أني خرجت عن الأديان وتخليت عن كل المعتقدات وآمنت بالعلم وحده وبالمنطق العلمي، ولشدة ما كانت دهشتي وعجبي أني وجدت نفسي **أسعد حظًا وأكثر اطمئنانًا** من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني"[٣]

فقد وظف الرابط السببي "وكانت نتيجة ذلك" منتقلاً من أسبابه الاجتماعية والعقلية إلى النتائج التي ترتبت عليها من الناحية العملية وهي كفره بالله، ومن الناحية النفسية وهي شعوره بالسعادة والطمأنينة في ظل الإلحاد.

ثانيا: موضوع الخطاب: يعد موضوع الخطاب هو بؤرة الخطاب التي توحده وتُكوّن الفكرة العامة له، فيمثل ما يقدمه الخطاب أو يطرحه من قضايا.[٤] والقضية الكبرى التي يسعى النص إلى إنجازها لغويًا، يمكن تحديدها من خلال تطبيق عدد من القواعد التي يطلق عليها "القواعد الكبرى" والمتمثلة في: الحذف، والتعميم، والاختيار، والدمج.

قاعدة الحذف: ويقصد بها إن كل معلومة ثانوية أو غير مهمة يجب أن تحذف من البنية الكبرى. ويمكن تطبيق قاعدة الحذف على كل ما يتعلق بظروف نشأة إسماعيل أدهم ودراسته والأمثلة التي ضربها ليصل إلى القضية الكبرى التي لا يمكن إغفالها في خطابه؛ وهي قيام الكون على قانون الصدفة، ودعوة المتلقين لتصديقها والإيمان بها؛ حيث قال: **"العالم إن كان نظام ما هو واقع خاضعًا لنظام ما هو ممكن فهو حالة احتمال من عدة حالات، والذي يحدد احتماله قانون الصدفة الشامل"**[٥]، كما قال مخاطبًا من لا يفهمون نظريته ودعوته: "...**أدعوهم إلى النظر إلى العالم مستقلاً عن صلة السبب والنتيجة، وخاضعًا لقانون الصدفة الشامل"**[٦]، فقد حاول إثبات قيام الكون على قانون الصدفة، وهدف إلى إقناع المتلقين بذلك. بذلك.

---

[١] راجع فان دايك: علم النص، ص٨٨، عزة شبل: علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، مكتبة الآداب، مصر، ط٢، ٢٠٠٩، ص١٩٣.

[٢] خالد مزعل: مصطلحا البنية الكبرى والبنية العليا عند فان دايك، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العراق، ع(١٨)، السنة العاشرة، ٢٠١٦، ص٣٧٩.

[٣] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، ص٥٧.

[٤] عزة شبل: علم لغة النص، ص١٩١.

[٥] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، ص٦٥، ٦٦.

[٦] السابق، ص٦٦.

قاعدة التعميم: يتعلق بحذف معلومات أساسية لتصور ما لتحل محلها قضية جديدة تتضمن مفهوميًا القضايا القديمة. ويمكن تطبيق قاعدة التعميم بحذف معلومات أساسية أوردها أدهم في سبيل برهنته على قيام الكون على قانون الصدفة، وأثر ذلك المعتقد في حالته النفسية، ليحل محلها فكرة عامة هي إقرار اعتقاده مع إعلان دعوته إليه، فقال في خاتمة مقاله: **"ومن هنا لا أجد بدًا من الثبات على عقيدتي العلمية والدعوة إلى نظريتي القائمة على قانون الصدفة الشامل الذي يعتبر في الوقت نفسه أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله"**[١].

قاعدة الاختيار: تتعلق هذه القاعدة باختيار القضايا الضرورية لتفسير القضايا الأخرى، فبعض القضايا الصغرى قد تكون مهمة بصفة خاصة أو وثيقة الصلة بالموضوع فتدخل في البنية الكبرى، وذلك نحو اختيار فكرة سكونه إلى الإلحاد؛ حيث قال: **"فأنا ملحد ونفسي ساكنة لهذا الإلحاد ومرتاحة إليه، فأنا لا أفترق من هذه الحياة عن المؤمن المتصوف في إيمانه"**[٢]؛ لتفسر إصراره على معتقده ودعوته إليه.

قاعدة الدمج: وفيها يمكن بناء قضية من مجموعة من القضايا؛ أي تدمج مجموعة من القضايا فتُكَوِّن قضية كبرى، فقد تكونت قضية إنكار وجود الله، من خلال دمج عدد من القضايا كالنشأة الدينية الصارمة، والمؤثرات التعليمية والثقافية المختلفة، والشعور النفسي المطمئن بفكرة عدم وجود إله؛ حيث قال: **"إن الأسباب التي دعتني للإيمان بالله كثيرة منها ما هو علمي بحت، ومنها ما هو فلسفي صرف، ومنها ما هو بين بين، ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي، ومنا ما يرجع لأسباب سيكولوجية"**[٣].

من خلال ما سبق يتضح أن موضوع خطاب الإلحاد هو إثبات أن الكون قام على قانون المصادفة والاحتمال، وليس بصنع الله.

البنى الكبرى لخطاب الإيمان:

يلاحظ أن خطاب الإيمان موضوع الدراسة يمكن تقسيمه إلى قسمين؛ الخطاب العقدي الصادر عن شيوخ المؤسسات الرسمية في الدولة ويرمز لهم الشيخ يوسف الدجوي عضو هيئة كبار العلماء ورئيس تحرير مجلة الأزهر. والخطاب العقدي غير الرسمي الصادر عن مثقفي الدولة مثل: أحمد زكي أبو شادي، ومحمد فريد وجدي.

أولاً: العنوان:

عُنون خطاب أحمد زكي أبو شادي بـ "لماذا أنا مؤمن؟" عنوانًا رئيسًا وهو بنية استفهامية معارضة لعنوان الخطاب الإلحادي "لماذا أنا ملحد؟"؛ مما يكشف عن العلاقة بين الخطابين، وأنه بمثابة رد على دعوة الإلحاد، ويكشف عن أسباب الإيمان بالله والاعتقاد في وجوده، والعلاقة بين العنوان واالمقال كله علاقة سؤال بجواب. وتوالت العناوين الفرعية في خطابه (توطئة ـ مزايا الإسلام ـ عقيدة الألوهية ـ الخلاصة) لتجمل الموضوعات التي يشملها الخطاب، فالعلاقة الدلالية بين العناوين الفرعية وما تحتها علاقة إجمال ثم تفصيل. وفي التوطئة وضح أبو شادي سبب كتابته لهذه الرسالة، كما أبدى مشاعر ودية تضامنية مع إسماعيل أدهم. فرسالته ليست عدائية إنما هي رسالة كاشفة عن عقيدة الإيمان الحقيقية، مبطلة للمزاعم الواردة في رسالة أدهم. وفي الخلاصة كان تركيزه على إبطال الفكرة الأساسية التي دارت حوله رسالة الإلحاد، وهي قيام الكون على نظرية الاحتمال.

---

[١] السابق، ص٦٦.

[٢] السابق، ص٥٨.

[٣] السابق، ص٥٧.

أما خطاب محمد فريد وجدي فقد عُنون بـ "لماذا هو ملحد؟" وهو كذلك بنية استفهامية معارضة لعنوان الخطاب الإلحادي، تبرز من خلالها العلاقة بين هذا الخطاب وخطاب الإلحاد لإسماعيل أدهم، ويتوقع المتلقي من هذا العنوان أن المقال سيكون تفنيدًا لما أتى في خطاب الإلحاد، ومحاولة للوصول إلى الأسباب التي أدت إلى إلحاده. كما حمل مقال فريد وجدي عددًا من العناوين الفرعية التي تجمل ما تحتها من أفكار مفصلة؛ وأول هذه العناوين "الدخول إلى موضوع البحث"؛ حيث كان ما قبله من استهلال يبين سبب كتابته لهذا المقال، ويقر بحرية الاعتقاد التي كفلها الإسلام. ثم توالت العناوين التي تنوعت بين الجمل الخبرية والاستفهامية، وهي: هل كان الفيلسوف "كنت" ملحدًا؟، هل السبب الأول للكائنات هو الخبط والاتفاق؟، مناقشة هذه النظرية الإلحادية الحساب، ثانيًا هل تصح تسمية الخبط بالقانون؟، ثالثًا هل يعقل صدور النظام في الخبط العام بدون سبب خارجي، قصة المطبعة ذات المليون حرف. فهذه العناوين تثير أذهان المتلقين وتدعوهم إلى التفكير، كما تسهم في وضوح الأفكار الرئيسة للمقال في عقولهم.

أما خطاب الشيخ يوسف الدجوي الذي تمثل في سلسلة من المقالات المعنونة بـ "حدث جلل لا يمكن الصبر عليه"، فقد أتى العنوان جملة خبرية محذوفة المبتدأ، تحمل شحنة انفعالية، من خلال توظيف الصفة "جلل"، تستثير المتلقين ليشعروا بخطورة ظهور مثل هذه الدعوة الإلحادية في الأراضي المصرية المسلمة، ولتحملهم على اتخاذ رد فعل قوي تجاه هذه الدعوة. وتربط بين العنوان ومحتوى المقال علاقة دلالية هي علاقة التفصيل بعد الإجمال؛ حيث أتى العنوان مجملًا، ثم كشف المقال عن طبيعة هذا الحدث، وأسباب وصفه بالجلل، والإجراءات التي يجب اتخاذها حياله. وقد تكونت هذه السلسلة من أربعة مقالات يحمل كل مقال من المقالين الأخيرين فيها عنوانًا فرعيًا. فالمقال الثالث عنوانه الفرعي "كثرة البراهين على وجود الله" وهو عنوان مجمل يفصله محتوى المقال بما يطرحه الشيخ فيه براهين مستمدة من العلم الطبيعي والفلسفة والتاريخ تدل على وجود الله. أما المقال الرابع والأخير فعنوانه الفرعي "رجاء للحكومة لمصلحة الحكومة" ويدل العنوان الفرعي على المرسل إليه المعني بالمقال وهو الحكومة، وقد كرر الشيخ كلمة "الحكومة" تكرارًا شكليًا كليًا لينبه الحكومة لضرورة الالتفات لما كتبه وأخذه في الاعتبار لخطورة قضية العقيدة وعلاقتها الوثيقة بالمجتمع وأفراده؛ حيث إن لها أثر كبير في إصلاح المجتمع أو إفساده. وقد استجابت الحكومة بالفعل لرجاء الشيخ وصودر مقال أدهم وكتاباته حول الإلحاد.

ثانيًا: موضوع الخطاب:

اشتركت الخطابات الثلاثة (الممثلة لخطاب الإيمان) التي ترد على خطاب إسماعيل أدهم في موضوع الخطاب وهو إثبات عقيدة الألوهية والتوحيد، ودحض عقيدة الإلحاد ومزاعمها. ولكن لكل خطاب قواعده الكبرى التي شكلت موضوعه.

ففي مقال "لماذا أنا مؤمن؟"؛ تمثلت القواعد الكبرى في:

الحذف: للوصول إلى القضية الكبرى التي يتحدث عنها أبو شادي، يمكن حذف كل ما يتعلق بحديثه عن مؤلفاته الإسلامية، ومزايا الإسلام، ومثالب شيوخه؛ لنصل إلى القضية الكبرى التي عرضها في رسالته؛ حيث قال: **"لماذا أنا مؤمن؟ وهو هذا الرد على مذهب ارتباط الإلحاد بقانون الاحتمال، والتعريف باستقلال الإسلام في جوهره ونقائه عن تصرفات شيوخه"**[1]، فهناك قضيتان كبريان لهذا الخطاب؛ وهما: استقلالية الإسلام بمعزل عن تصرفات شيوخه، وعدم خضوع الكون لقانون الاحتمال.

[1] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٧٠.

التعميم: في نهاية استخلص قضية واحدة كبرى بناءً على عدد من القضايا التفصيلية؛ وهي إبطال ادعاء أدهم بخضوع العالم لقانون الصدفة، فقال: **"أما قانون الاحتمال فهو عندما يتناول الملايين والبلايين وما هو في حكم اللا نهائي تصبح نظرياته لغوًا علميًا بالنسبة لعمر الإنسان"**[١].

الاختيار: اختار أبو شادي عددًا من القضايا الصغرى الجزئية لتدخل في البنية الكبرى مثل تأكيده على قيام الإسلام على العقل والعلم؛ لإبطال مزاعم أدهم المنسوبة إلى العقل والعلم، في نحو قوله: **"فأما عن وراثة الإسلام لحسنات الديانات السابقة وقيامه على العقل والعلم فقد تجليا في أنضر عصوره ..."**[٢]، وقوله: **"فالإسلام في أسمى معانيه لا يقوم إلا على العقل والعلم"**[٣].

الدمج: يمكن الوصول إلى قضية استقلالية الإسلام من خلال دمج العديد من القضايا المفصلة لمزايا الإسلام التي عبر عنها الكاتب مستعملاً علاقات الإجمال والتفصيل في نحو قوله: "للإسلام ثلاث مزايا عظيمة من سكت عن ضياعها فقد عاون على ضياع الإسلام بنفسه ...". كما يمكن الوصول إلى قضية عدم خضوع الكون لقانون الاحتمال من خلال دمج ردود أبي شادي على ما ورد برسالة أدهم مستعينًا بحجج السلطة؛ وذلك نحو قوله: **"من السهل أن يجيبه أي مسلم بأن قانون الاحتمال في ذاته هو من السنن الإلهية، فلو نشأ القرآن أو الكتاب المقدس بموجب هذا القانون لما تعدى أن يكون وحيًا إلهيًا بوسيلة طبيعي. ليس لسيطرة قانون الاحتمال على العالم ما يعني وجود الفوضى فيه؛ إذ إن اتساع تطبيقه اتساعًا هائلاً يؤدي حتمًا إلى نظم معينة، وهو المشهود عمليًا في الوجود كما يثبت علم الفلك ذلك"**[٤]. .

بناءً على القواعد الكبرى السابقة يتبين أن موضوع الخطاب هو استقلالية الإسلام، ونفي خضوع العالم لقانون الاحتمال؛ مما يعد نقضًا لخطاب الإلحاد الذي دعا إليه إسماعيل أدهم، حاملاً في طياته دعوة لإعادة النظر في الإسلام والتعرف على ميزاته.

أما القواعد الكبرى في مقال "لماذا هو ملحد؟" فتمثلت في:

الحذف: بحذف حديث الكاتب عن الحرية العقلية التي تولد عنها رسالة "لماذا أنا ملحد؟"، وتلخيصه لما ورد في الرسالة، ومحاولته الوصول لأسباب إلحاده الحقيقية، والرد على ما بالرسالة من مزاعم، يمكن الوصول إلى الموضوع الرئيس لمقاله المتضمن قوله: **"وقد فندنا كل ما ذكره الكاتب مما سماه قانون الصدفة الشامل، وبينا تنافيها مع قوانين الاحتمال بما لا مزيد عليه"**[٥]؛ أي إن الموضوع الرئيس للخطاب هو دحض دعوى قيام الكون على قانون الصدفة.

التعميم: بحذف المعلومات الأساسية التي أوردها الكاتب في مقاله مفندًا مزاعم إسماعيل أدهم في رسالته، وإحلال قضية أخرى أكثر عمومية وهي أن ادعاء قيام الكون على قانون الصدفة ضرب من الوهم والخيال والجنون؛ حيث قال: **"فكاتب الرسالة لا يخفي أن كلامه يتعذر فهمه، ولكن لا لأنه وهمي محض، بل لأنه يغير أصول الفهم، ويتناول أسس التصور نفسه... إن تغيير أسس التصور على هذا النحو يعود بالإنسانية إلى العهود المظلمة التي كانت فيها، ويقضي على جميع الثمرات التي حصل**

---

[١] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٨١.
[٢] السابق، ص٧٠.
[٣] السابق ص٧١.
[٤] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٨٠.
[٥] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص١٠٩.

عليها مصلحو العلم والفلسفة، ويدفع بالناس إلى متاهات من الخيالات لا يجدون فيها حدًا يقفون عنده."[١]

الاختيار: يمكن اختيار عدد من القضايا الصغرى التي يمكن من خلالها تفسير موضوع الخطاب، مثل: تحديده للأسباب الحقيقية لإلحاد أدهم، وذلك كما في قوله: **"بقي ما عبر عنه الكاتب بأحوال البيئة والظروف، وبأسباب سيكولوجية نفسية ، وهذه في نظرنا هي الأسباب الحقيقية في تكوين فكرة الإلحاد عنده ... ولا عجب لنفس يحكم عليها أن تكون وسط هذا التناقض ولا تشعر بانقباض شديد يحملها على طلب المخرج منه، فلما أتته نظرية الإلحاد وجد فيها الراحة التامة لضميره، والثلج الكلي لصدره، فأخذ بها وتحمس لها"**[٢].

الدمج: يمكن الوصول إلى الموضوع الرئيس للخطاب من خلال تفنيد الكاتب لعدد من ادعاءات أدهم ومزاعمه، حيث تُدمج هذه الردود مثل قوله: **"... فإن كل الآثار التي عثروا عليها تدل على وجود العقيدة لدى تلك الجماعات. فما معنى قول الكاتب بعد هذا التقرير العلمي: إن العقيدة بالله لم تصبح من مستلزمات الجماعات إلا منذ ألفي سنة؟ إن الأحجار المنقوشة في الهند والصين ومصر وغيرها تدل على أن تلك الأمم قبل ستة آلاف سنة كانت متدينة على أشد ما يمكن أن يكون، وكان للدين السلطان المطلق عليها حتى كان الحكم فيها قبل نشوء الملكية للكهنة والرهابين"**[٣]، وقوله: **"إذا كان القارئ سواء أكان باحثًا طبيعيًا أو عالمًا رياضيًا قد آنس في كلام الدكتور كاتب الرسالة غرابة وخروجًا عن المألوف، ومنافاة لكل ما نُقل عن أقطاب العلوم وأركان الرياضيات... فإن الدكتور نفسه يعترف بذلك ..."**[٤] ليتضح من دمجها أن موضوع الخطاب هو إبطال دعوى قيام الكون على قانون الصدفة، وإثبات جهل أدهم ومناقضته لأحكام العقل.

من خلال القواعد الكبرى السابقة يمكن تحديد موضوع الخطاب بأنه إبطال دعوى أدهم الإلحادية القائمة على اعتبار الكون قائمًا على قانون الصدفة، وبيان جهل أدهم وخروجه عن أحكام العقل.

وفي مقالات "حدث جلل لا يمكن الصبر عليه"، يمكن رصد القواعد الكبرى في:

الحذف: بحذف الاستشهادات القرآنية والشعرية والأمثلة التاريخية الدالة على وجود الله، والأدلة الدينية والفلسفية الدالة على دونية المنكر لوجوده، يمكن التوصل إلى موضوع الخطاب وهو إثارة المتلقين ضد الملحد المنكر وجود الله؛ حفاظًا على المجتمع وحماية لعقيدته، وذلك كما قال: **"ولكن من الواجب أن نحذف هذا الفريق المصاب بأفظع أنواع الجنون من سجل الإنسانية وحساب العقلاء. وإذا التفتنا إليه وجب أن نعتبره عضوًا فاسدًا يجب بتره وإهماله مع الاحتياط الواجب لصيانة جسم الإنسانية من إصابة عدواه التي هي شر من عدوى الطاعون"**[٥]

التعميم: يمكن حذف معلومات أساسية تضمنها الخطاب مثل: إثبات عقيدة التوحيد بالأدلة العقلية والعلمية والدينية، والتأكيد على جنون الملحد وسفاهته؛ للتركيز على قضية أساسية متضمن الحديث عنها من قبل، وهي أهمية عقيدة التوحيد لصلاح المجتمع؛ حيث قال: **"فهذه العقيدة أحكم مرشد، وأهدى قائد للإنسان إلى المدنية المؤَسسة على المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة. وهذا الاعتقاد أشد ركن لقوام**

---

[١] السابق، ص١١١.
[٢] السابق، ص٨٨.
[٣] السابق، ص٩٣.
[٤] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص٩٨.
[٥] يوسف الدجوي: مقالات وفتاوي الشيخ يوسف الدجوي، ٤٥٩/١.

الهيئة الاجتماعية التي لا عماد لها إلا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه، والقيام على صراط العدل المستقيم"[١] .

الاختيار: اختار الشيخ الدجوي عددًا من القضايا الجزئية التي تدعم القضية الكبرى، وتساعد على فهمها؛ وذلك مثل إثباته وجود الله، و إثبات جهل الملحد وعناده، والتأكيد على ضياع المجتمع المتجرد من العقيدة السليمة والمفرط فيها؛ وذلك نحو قوله: **"فإذًا لا غرابة بعد أن علمنا أن الإنسان مستعد لأن يكون أشرف المخلوقات على الإطلاق وأحطها على الإطلاق، في أن نرى فريقًا ينكر وجود الله وهو أوضح من حسه وأقرب إليه من نفس: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢]. ولكنه ليس فيه استعداد لفهم البراهين ولا للتحلي بحلية اليقين، فهو كالحجارة أو أشد قسوة، كما بينه الحكيم العليم. وهذا الفريق جدير بنا أن نسميه حمير البشر كا قلنا. وقد قال بعض الفلاسفة: (إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان)"**[٣]، وقوله: **"انظروا إلى الأمة الإسلامية أيام تمسكها بدينها كيف كان مجدها ورفعتها، ثم انظروا حالها اليوم عندما ظهر فيها الماديون، وكثر فيها الجاهلون الملحدون، وقلَّ فيها المخلصون"**[٤]، فمقابلته بين صلاح الأمة وتقدمها حال تمسكها بالعقيدة الصحيحة، وتأخرها وانحطاطها حال تفريطها في عقيدتها، يثير المتلقين لنبذ المحلدين ورفض دعواتهم.

الدمج: يمكن الوصول إلى إثبات وجود الله ونبذ الملحد المنكر لوجود الله من خلال العديد من الأدلة الدينية والفلسفية والمنطقية والتاريخية؛ فقال مستشهدًا بقول أحد الفلاسفة في إثبات وجود الله: **"وخذ الآن ما قاله أحد الفلاسفة العظام في الاستدلال على الله، يقول: لو كان الوجود كله مكونًا من مواد صماء عمياء لا عقل لها ولا إدراك، فمن أين نشأ للإنسان، الذي خلق مواد لا عقل لها، ذلك العقل والإدراك، وفاقد الشيء لا يعطيه..."**[٥]، وقال في سياق تجهيله للملحدين لإثارة المتلقين ضدهم، وحضهم على نبذهم: "ثم نقول باختصار لأولئك الملحدين: **هل الموجودات كلها انحصرت فيما تعلمون وصارت قاصرة على ما تحسون؟ إن كنتم تعتقدون أنه لا موجود إلا ما أحسستم، ولا شيء في العلم إلا ما علمتهم، فأنتم أجهل الجهلاء وأحمق الحمقى."**[٦]، مستعملاً في ذلك الاستفهام المجازي الهادف إلى النفي، وصيغة أفعل التفضيل.

بناءً على القواعد السابقة يتبين أن موضوع خطاب الشيخ الدجوي في سلسلة مقالاته هو نبذ الملحدين، بهدف إثارة المتلقين ضد كاتب خطاب الإلحاد خصوصًا والملحدين عمومًا، وإثارة الحكومة ضده لتتخذ موقفًا قويًا رادعًا يجعله عبرة لمن تسول له نفسه الجهر بالدعوة إلى الإلحاد.

مما سبق يمكن إجمال الموضوعات التي تضمنها خطاب الإيمان (الرسمي ـ غير الرسمي) في:

- إبطال دعوى قيام الكون على قانون الاحتمال.
- إثبات استقلالية الإسلام.
- نبذ الإلحاد والملحدين بإثبات جهلهم وخروجهم عن قواعد العقل السليم.

---

[١] السابق، ١/ ٤٨٠.
[٢] سورة إبراهيم: آية ١٠.
[٣] يوسف الدجوي: مقالات وفتاوي الشيخ يوسف الدجوي ، ١/ ٤٦٠.
[٤] السابق، ١/ ٤٧٧.
[٥] السابق، ١/ ٤٥٣.
[٦] السابق، ١/ ٤٧٣.

المبحث الثالث : البنى الشكلية Superstructures

تعني الدراسة بالبنى الشكلية البنى العليا، والبنى العليا Superstructure هي "نوع من المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما"[١]، فهي مخطط إنتاج، يتشكل من قواعد لغوية واتصالية.[٢]

فـ"هناك أساسان للبنية العليا، الأول هيكلي يستند إلى قواعد عرفية، والثاني تداولي مرتبط بغرض الكاتب. وهما مترابطان؛ حيث يشترط عند تكوين النص أن يعلم منتج النص ماذا يريد بواسطة النص المخطط له؛ لذلك فهو ينشط القالب المناسب لهذا المطلب ذي الصورة النمطية، والذي يصبح حينئذ ذا قيمة توجيهية في عملية استقبال النص وتفسيره"[٣]، وقد سبق توضيح أهداف كلا الخطابين التي يتبين من خلالها أن القالب المناسب لهما هو القالب الحجاجي.

تعمل البنى الدلالية ـ التي سبق بيانها فيما سبق ـ في إطار بنية عليا، هي بنية الحجاج، وقد تضافرت هذه العلاقات في النصوص بما يتلاءم مع موضوعاتها لتبرر في خطاب الإلحاد الفكر الإلحادي وتنشره، وتدافع في خطاب الإيمان عن عقيدة الألوهية، وتدحض مزاعم الكفر والإلحاد.

وقد أدرك كُتَّاب كلا الخطابين الأبعاد التداولية لخطابهما؛ فهو خطاب إعلامي منقول عبر وسيط مقروء؛ فقد نُشر خطاب الإلحاد في بادئ الأمر في مجلة "الإمام" وهي مجلة ثقافية، تهتم بنشر الأخبار الأدبية وما يخص الثقافة العامة بين الناس، ثم أُفرد في رسالة مستقلة تعميمًا للدعوة. أما خطاب الإيمان فقد نُشر في مجلتين إحدهما مجلة "أدبي"، وهي مجلة تُعنى بنشر الشعر ونقده، والأخرى مجلة "الأزهر" وهي مجلة تُعنى بنشر الثقافة الدينية في المجتمع المصري المسلم.

البنى العليا لخطاب الإلحاد:

كما اتضح في المبحث السابق فإن البنية الكبرى للخطاب الإلحادي تضم عددًا من الموضوعات المتمثلة في أسباب إلحاد الكاتب، وشعوره بالاستقرار النفسي المصاحب لإلحاده، وصولاً إلى القضية الكبرى المتمثلة في أن العالم قائم على الاحتمال والصدفة.

وموضوع الخطاب الذي سعى الكاتب إلى إنجازه من خلال رسالته المكتوبة إثبات أن العالم قائم على قانون المصادفة والاحتمال؛ أي إن الوظيفة البراجماتية لهذا الخطاب هي نشر الفكر الإلحادي في المجتمع العربي المسلم، وقد استعمل لتحقيق هذه الوظيفة عددًا من تقنيات الجدل المنطقية واللغوية. فقد وظف الاستراتيجية الحجاجية بأدواتها المختلفة لإثبات صحة معتقده، ومن هذه الأدوات:

المثال والتمثيل:

يعد الحجاج بالمثال استقراءً بلاغيًا يقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها.[٤] وينتمي الحجاج بالمثال مع التمثيل إلى صنف الحجاج الاستقرائي؛ حيث ينطلق من الخاص إلى العام. وعلى الرغم من كونه من أكثر الأساليب الناجحة في إقناع الآخرين؛ لقربه من تصور المستمعين وفهمهم، فإنه ليس خاليًا من الاعتباطية التي قد تكون سببًا في مغالطة متلقي الحجاج[٥]، وقد وظف أدهم كلًا من المثال والتمثيل ليقنع المتلقين بفرضيته الزاعمة قيام الكون على قانون الاحتمال، ومن أمثلة توظيفه لحجة المثال:

---

[١] فان دايك: علم النص، ص٢١٢.

[٢] السابق، ص٢١٠، ٢١١.

[٣] حسام فرج: نظرية علم النص، ص١٥٧.

٤ محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦، ص٦٨.

٥ كورنيليا فون راد-صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، منوبة، ٢٠٠٣، ص٢٦.

-قوله في سياق محاولة إثبات زعمه أن العالم يخضع لقانون الاحتمال والصدفة: "مثال ذلك أن عملية بتر الزائدة الدودية نسبة نجاحها ٩٥%، أعني أن ٩٥ حالة تنجح من ١٠٠ حالة، فلو فرضنا أن مائة مريض دخلوا إحدى المستشفيات لإجراء هذه العملية فإن الجراح يكون مطمئنًا إلى أنه سيخرج بنحو ٩٥ حالة من هذه العمليات بنجاح، فإذا ما سألته: يا دكتور ما نسبة احتمال النجاح في هذه العملية؟ فإنه يجيبك ٩٥ في المائة، ويكون مطمئنًا لجوابه، ولكنك إذا سألته: يا دكتور ما نسبة احتمال النجاح في العملية التي ستجريها لفلان فإنه يصمت ولا يجيبك، لأنه يعجز عن معرفة النسبة الاحتمالية. هذا المثال يوضح معنى قانون العدد في أنها تتصل بالمقادير الكبيرة والكثرة العديدة، ويكون مفهوم سنة الصدفة وجه الاحتمال في الحدوث..."[١]

على الرغم من صحة المثال وواقعيته الذي وظفه الكاتب لإثبات صحة زعمه؛ فإنه قابل للدحض لعدم إمكان تطبيقه على قيام العالم وحدوث الأشياء.

ومن أمثلة توظيفه للتمثيل:

- وقوله في السياق نفسه: "ومثل العالم في ذلك مثل المطبعة فيها من كل نوع من حروف الأبجدية مليون حرف وقد أخذت هذه الحركة في الاصطدام فتجتمع وتنتظم ثم تتباعد وتنحل هكذا في دورة لا نهائي، فلا شك أنه في دورة من هذه الدورات اللانهائية لا بد أن يخرج هذا المقال التي تلوته الآن، كما أنه في دورة أخرى من دورات اللانهائية لا بد أن يخرج كتاب أصل الأنواع وكذا القرآن مجموعًا منضدًا مصححًا من نفسه ..."[٢].

وقد دحض الأستاذ محمد فريد وجدي هذه الصورة التمثيلية للعالم في رسالته حيث قال: "والآن نتصدى لتشبيهه فعل قانون الصدفة وما تخضع له من قوانين الاحتمال بمطبعة ذات مليون حرف، لكل من وحدات الأبجدية، وقد درج الناس إذا ابتلوا بأقيسة فاسدة أن يقولوا: هذا قياس مع الفارق. ولكنا مضطرون حيال ما نحن بصدده أن نقول: هذا قياس مع كل ما يتخيل من الفوارق ... إن هذا التشبيه معيب للدرجة القصوى، بل هو غير جائز أصلاً، ومجيئه من باحث ينتمي للرياضيين يزيد في غرابته ويجعله أطروفة الأعاجيب في عصر المباحث المدققة، والمقررات المحررة..."[٣]

فقد افترض أدهم وجود تشابه زائف بين أشياء لا يوجد بينها أي وجه من وجوه التشابه، فكان من السهل على فريد وجدي دحضه والرد عليه.

التأثير العاطفي:

حاول الكاتب اكتساب تعاطف المتلقين وذلك من خلال استعمال العديد من الألفاظ الانفعالية التي وظفها خلال سرده لظروف نشأته وتربيته التي أثرت في توجهه الإلحادي، وذلك مثل:

- قوله في سياق حديثه عن أمه: "ولكن **سوء حظي** جعلها تتوفى وأنا في الثانية من سني حياتي"[٤]

- قوله في سياق بيان حرص والده وزوج عمته على نشأته الدينية: "... فكان يأخذني لصلاة الجمعة ويجعلني أصوم رمضان وأقوم بصلاة التراويح، وكان هذا كله **يثقل كاهلي كطفل** لم يشتد عوده بعد، فضلاً

[١] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، ص٦٢، ٦٣.
[٢] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، ص٦٣.
[٣] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص١٠٩، ١١٠.
[٤] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، ص٥١.

عن تحفيظي القرآن، والواقع أني حفظت القرآن وجودته وأنا ابن العاشرة، غير أني خرجت **ساخطًا** على القرآن لأنه كلفني جهدًا كبيرًا ..."[١]

فقد حاول استثارة مشاعر المتلقين بإشراكهم في تجربته الذاتية، من خلال سرده لتفاصيل نشأته بلا أم ترعاه، وبلا أب يوجهه؛ حيث كان زوج عمته هو المسئول عنه، مسئولية بلا شفقة أو مراعاة لصغر سنه وكبر التكاليف المطلوبة منه. وهو بهذه التفاصيل يجعل إلحاده أمرًا مبررًا، وربما يكون مقبولاً لدى بعض المتلقين. وهذا التأثير العاطفي واستدرار الشفقة من المتلقين يعد حجاجًا مغالطيًا يمكن إبطاله بسهولة؛ حيث إنه من الخطأ إسناد وظيفة الحجة والبينة إلى العاطفة.

وقد علق الأستاذ محمد فريد وجدي على هذه الأسباب ـ أثناء تفنيده لأسباب إلحاد أدهم ـ قائلاً: "بقي ما عبر عنه الكاتب بأحوال البيئة والظروف، وبأسباب سيكولوجية، وهذه في نظرنا هي الأسباب الحقيقية في تكوين فكرة الإلحاد عنده، فإنه ذكر في تاريخ حياته أن أباه كان مسلمًا محافظًا- وأن أختيه كانتا تلقنانه الدين المسيحي، وفي الوقت نفسه كانتا تهزآن بخوارق الكتب المسيحية، وبخلود الروح في الحياة الآخرة، وأن زوج عمته كان يرغمه على الصلاة وحفظ القرآن، فهذه كلها عوامل تقذف بنفسية الطفل من الشذوذ إلى مكان بعيد. **ولا عجب** لنفس يحكم عليها أن تكون في وسط هذا التناقض ولا تشعر بانقباض شديد يحملها على طلب المخرج منه، فلما أتته نظرية الإلحاد وجد فيها الراحة التامة لضميره، والثلج الكلي لصدره، فأخذ بها وتحمس لها."[٢]، حيث أبدى أن إلحاده نتيجة لهذه الظروف الاجتماعية أمرًا طبيعيًا مبررًا، لكنه ليس حجة على إنكار وجود الله.

الاستغلاق (المصادرة على المطلوب):

المصادرة على المطلوب هي "خطأ منطقي يتمثل في المصادرة على النتيجة التي يُبتغى الوصول إليها بحيث ترد إحدى مقدمات الحجة، فيكون المطلوب نفسه مقدمة في قياس يراد به إنتاجه"[٣]، وقد وُظف في نحو:

قوله منكرًا وجود الله: "الواقع الذي ألمسه أن فكرة الله أولية، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفي سنة... ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التي كنا نخلعها عليها."[٤]

فقد جعل "أن فكرة الله أولية ... من مستلزمات الجماعات" مقدمة يحاول من خلالها الوصول إلى نتيجة "أن فكرة الله أولية" أيضًا، فقد جعل الكاتب فكرة واحدة مقدمة ونتيجة في الآن نفسه.

وقد رد عليه الأستاذ محمد فريد وجدي مستخدمًا حجاجًا مضادًا بقوله: "إن هذا الكلام ليس عليه أقل عبقة من اللهجة العلمية، كأن كاتبه لم يقرأ تاريخ العالم ولا تاريخ العلم، فإن قوله إن العقيدة بالله أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفي سنة، خطأ عظيم، فإن هذه العقيدة صحبت الإنسان منذ نشوئه ... فإن كل الآثار التي عثروا عليها تدل على وجود العقيدة لدى تلك الجماعات ... إن الأحجار المنقوشة في الهند والصين ومصر وغيرها تدل على أن تلك الأمم قبل ستة آلاف سنة كانت متدينة على أشد ما يمكن أن يكون، وكان للدين السلطان المطلق عليها حتى كان الحكم فيها قبل نشوء الملكية للكهنة والرهابين."[٥]، فقد رد عليه بإقامة حجج جديدة تؤكد الرأي المضاد لزعمه؛ حيث أتى بالأمثلة الواقعية التي تؤكد فطرية

---

[١] السابق، ص٥١.

[٢] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص٨٨.

[٣] محمد النويري: الأساليب المغالطية مدخلاً في نقد الحجاج، من كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت، ص٤٣٦.

[٤] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟، ص٥٩.

[٥] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص٩٣.

الإيمان بالله منذ بدء الخليقة. كما ضمن حجاجه المضاد حجاج وجه ذات استهجانيًا يطعن من خلاله في عدالة الخصم ويفقده الخبرة للخوض في هذا الموضوع؛ حيث وصف الكلام الوارد في الرسالة بأنه "ليس عليه أقل عبقة من اللهجة العلمية"، وأنه "خطأ عظيم"، كما ذكر عن كاتبه بأنه "كأنه لم يقرأ تاريخ العالم ولا تاريخ العلم".

السلطة:

إن السلطة قد تكون نظامًا أو نصًا أو قانونًا أو شخصًا (سلطة أهل العلم والاختصاص). "والاحتجاج بالسلطة يبدو ضروريًا في بعض المواقف التي لا يمكن فيها لغير الضالع في الاختصاص أن يدرك الأدلة على وجهها."[١]، وقد احتكم أدهم إلى السلطة عند تضمنيه لقول الفيلسوف كانط فيما يلي:

ـ يقول عمانوئيل كانط (١٧٢٤- ١٨٠٤م): أنه لا دليل عقلي أو علمي على وجود الله وأنه ليس هنالك من دليل عقلي أو علمي على عدم وجود الله"[٢]

وقد قام الأستاذ محمد فريد وجدي بالرد على هذا الاستشهاد ودحضه؛ حيث قال: "لا أظن أن الدكتور صاحب الرسالة يجهل تاريخ الفيلسوف الذي يصفه بأنه أعظم فلاسفة العصور الحديثة، إن هذا الفيلسوف كان من أكبر المؤمنين بالله وبالروح وخلودها من طريق التحليل العلمي والفلسفي جاء عنه في قاموس لاروس ما يأتي: (شرع الفيلسوف كنت في إصلاح مجموع المعارف فبدأ عمله على أسلوب التشكيك، وبنى عليه الوصول إلى الحق اليقين بواسطة العقل العملي، والناموس الأدبي، واستنتج من ذلك وجود الخالق ووجود الروح). وهذا ما تعرفه الفلسفة عنه، فمن أين أتى حضرة الدكتور بأنه لا دليل سواء أكان عقليًا أم علميًا على وجود الله، لا أستطيع أن أقول إنه تقول عليه، ولكني أقول إنه اقتضبه اقتضابًا من كلامه فأوهم غير ما يرمي إليه الفيلسوف من مراده"[٣]

فاحتكام أدهم إلى السلطة هنا يعد من المغالطات؛ لأنه اعتقد بصدق فكرة لا سند لها إلا سلطة قائلها، كما تبين من حجاج فريد وجدي المضاد بطلان نسبة هذا القول لكانط.

مما سبق يتبين أن الحجج التي وظفها إسماعيل أدهم في خطابه الإلحادي تنتمي إلى الحجاج المغالطي؛ وهو أن يستعمل المتكلم "حججًا مغلوطة أو يوظف خطابًا مليئًا بالمغالطات من أجل دفع المتلقي أو السامع أو المخاطب إلى الاقتناع، أو تغيير سلوكه تجاه المتكلم المتلفظ"[٤]، فالمغالطة هي "استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو وكأنه صحيح؛ لأنه مقنع سيكولوجيًا ومنطقيًا، على الرغم مما به من غلط مقصود، وذلك لاختفاء هذا الغلط وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية، أو لعدم الانتباه إلى ما به من مخالفة للقواعد المنطقية؛ ولذلك لا يظهر فساده أو عدم صحته إلا بالفحص الدقيق".[٥]

---

[١] محمد النويري: الأساليب المغالطية مدخلاً في نقد الحجاج، ص٤٢٢.

[٢] إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد، ص٥٨.

[٣] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد، ص٩٢.

[٤] أسامة السيسي: الحجاج المغالطي في أدب المحتالين (موسوعة أدب المحتالين) للدكتور عبد الهادي حرب أنموذجًا، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ٢٠٢٠، ص٣٠.

[٥] حافظ علوي ومحمد أسيداه: اللسانيات والحجاج ـ الحجاج المغالط: نحو مقاربة لسانية وظيفية، من كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، عالم الكتب، الأردن، ٢٠١٠، ص٢٧٢.

والمغالطة ـ كما ذكر د. محد العمري ـ تهافت حجاجي يهدف إلى التضليل[١]، فقد حاول من خلال هذه الحجج ممارسة التضليل والسيطرة على المجتمع ليعتنق مذهبه الإلحادي ويتخلى عن عقيدته المؤمنة بالله.

البنى العليا لخطاب الإيمان:

اشترك مرسلو خطاب الإيمان في الوظيفة البراجماتية العامة وهي دحض دعوة الإلحاد التي حاول إسماعيل أدهم نشرها في خطاب، وإبطال مزاعمه، وإثبات عقيدة الإيمان بالله؛ ولكن تفرد كل خطاب بعدد من التقنيات الحجاجية التي تسهم في تحقيق تلك الوظيفة.

فمن التقنيات الحجاجية الموظفة في خطاب الإيمان:

السلطة:

استعان مرسلو خطاب الإيمان الثلاثة بحجة السلطة على اختلاف أشكالها؛ فمنهم من لجأ إلى السلطة العلمية والفلسفية، ومنهم من لجأ إلى السلطة الدينية، وذلك نحو:

ـ قول أبي شادي في سياق حديثه عن عدم قابلية قانون الاحتمال للتطبيق في الواقع: "ليس لسيطرة قانون الاحتمال على العالم ما يعني وجود الفوضى فيه؛ إذ إن اتساع تطبيقه اتساعًا هائلاً يؤدي حتمًا إلى نظم معينة، وهو المشهود عمليًا في الوجود **كما يثبت علم الفلك ذلك**"[٢].

ـاستشهاد فريد وجدي بأقوال للكيميائي والرياضي "وليم كروكس" الذي كان رئيسًا للمجمع العلمي البريطاني، ليؤكد خطأ فرضية أدهم في قيام الكون على الصدفة، وليثبت نشأة الكون وما فيه من حوادث أمور صادرة عن سابق تدبير، وقد عقب عليها قائلاً: "هذا **رأي العلامة الكيماوي والرياضي الكبير "وليم كروكس"**، وهو من الرجال القلائل الذين تضطرهم تجارب الحياة أن يطلعوا على عمل نواميس الكون كل يوم، فهم أقرب ممن عداهم ممن يكتبون ولا يعملون، وقد رايت أنه يأبى أن يسلم بكفاية النواميس لإيجاد الكون وحفظه على ما هو عليه، فأظهر الحيرة في فهم تلك (الإرادة) وذلك (الفكر) الذي يعمل من ورائها"[٣]

ـاستشهاد الشيخ الدجوي بأقوال فلاسفة قدماء ومحدثين مثل ديكارت في قوله: "حتى قال **ديكارت** الفيلسوف الشهير الذي جعل أساس فلسفته الشك ثم انتهى بعد إلى اليقين البالغ بقوله: "إن عندي شعورًا بوجود ذات كاملة لا يفترق في الوضوح عن شعوري بأن مجموع زوايا أي مثلث تساوي زاويتين قائمتين؛ إذًا فالله موجود"[٤]، ومثل الفيلسوف الألماني "ليبتنز" الذي نقل عنه قول: "إن الله هو العلة الأولى لوجود الأشياء؛ لأن كل ما هو محدود ومتناه ... فقد يوجد وقد لا يوجد..."[٥]

يلاحظ أن لجوء كُتاب خطاب الإيمان إلى السلطة العلمية والفلسفية؛ وذلك بالرجوع إلى قانون العلم الطبيعي، والاستشهاد بأقوال علماء وفلاسفة لهم قدر عالٍ؛ وذلك لأنهم أساطين العلم الطبيعي الذين يستند إليهم أصحاب الدعوات الإلحادية، فمن خلال أقوالهم يتبين أن العلم الطبيعي بريء مما نُسب إليه كذبًا.

انفرد الشيخ الدجوي بتوظيف السلطة الدينية (آيات قرآنية، وأحاديث نبوية) والأمثلة المستمدة من التاريخ الإسلامي؛ وذلك لأنه لم يكن مخاطبًا لأصحاب الدعوات الإلحادية فقط، إنما كان مخاطبًا لعموم المتلقين في المجتمع المسلم الذين يُخشى عليهم الاستجابة لأفكار الإلحاد. وذلك في نحو:

---

[١] محمد العمري: دائرة الحوار ومزالق العنف(كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٧٢.

[٢] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٨٠.

[٣] محمد فريد وجدي: لما هو ملحد؟، ص٩٠.

[٤] يوسف الدجوي: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي، ص٤٥٢.

[٥] السابق، ص٤٥٤.

قوله في استدلاله على وجود الله: "ولو سلك علماء الكلام مسالك القرآن في الاستدلال على الله تعالى لقربوا الطريق، وهزوا القلوب ... انظر إلى قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[1] ... ويقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ (17) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ (18) وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ (19) وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ(20) ﴾[2]. ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ(5) ﴾[3] ..."[4]

وقوله في السياق نفسه: "ومن ذلك ما قاله جعفر الصادق - رضي الله عنه - لذلك الغريق الذي نجا: هل كنت يائسًا من النجاة عندما انكسرت بك السفينة؟ فقال: لا بل كنت أرجو النجاة. فقال له: إن الله الذي كنت ترجوه في باطنك لنجاتك ولا تعرفه هو الله المحيط بكل شيء القادر على كل شيء. فآمن الرجل عندما أيقظ منه ذلك الودان وحرك ما كان كامنًا في فطرته."[5]

فقد حاول الشيخ الدجوي فرض هيمنته على المتلقين من خلال السلطتين العلمية والدينية.

حجاج وجه الذات:

هي حجج الشخصية تهدف إلى توضيح الفرق بين ما يُعرف عن الشخص، وأفعاله وأقواله؛ لتجريده من أهليته؛ إما برفض كل حديث تنعدم فيه الجدية، وإما بالنظر إلى الشخص وفق معايير معرفية أو أخلاقية أو مقامية.[6]؛ ومن ثم تُرفض أقواله ودعاويه.

فهي تهدف إلى الطعن في شخص القائل بدلاً من تفنيد قوله[7]. ولهذا النوع من الحجج أربعة أنواع؛ القدح الشخصي (السب)، التعريض بالظروف الشخصية، مغالطة أنت أيضًا، تسميم البئر؛ ويكون بالمبادرة بغرس الشك والارتياب في مخيلة المتلقين تجاه الخصم[8]، ومن ذلك:

- قول الأستاذ محمد فريد وجدي: "إن ما يقرره الدكتور **من عالم الخيال المحض لا من عالم العلم،** حمله عليه شدة تهيامه بإبطال العقيدة بالخالق، ولكن تهيام الإنسان بنفي أصل من الأصول، لا يجوز أن يدفع به إلى متاهات يتجرد فيها من كل قوانين المنطق، **جريًا وراء هوى من الأهواء النفسية**"[9]

يشكك فريد وجدي في دعوى أدهم من خلال نسبة ما يقرره في خطابه إلى عالم الخيال المحض ونفيه من عالم العلم، فهو يستند في حجته إلى معايير معرفية وأخلاقية يناقضها أدهم في خطابه؛ ليغرس الشك في نفوس المتلقين تجاهه.

- وقوله مثبتًا وقوع أدهم في تناقض علمي مع أقواله: "فهو يقول إن نظريته هذه مبتكرة ظهرت في عالم التفكير العلمي لأول مرة ... قال ذلك عقب إيراده قول العلامة الكبير "هنري بوانكايه" الفرنسي وهو قوله: "إن الصدفة تخفي جهلنا بالأسباب، والركون للمصادفة اعتراف بالقصور عن تعريف هذه الأسباب". وعقب على كلمة الأستاذ بوانكاريه بقوله: "والواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه في اعتقاده". وهذا اعتراف من الدكتور بأن كل العلماء متفقون على أن لا خبط ولا اتفاق في حوادث الكون،

---

[1] سورة إبراهيم: آية ١٠.
[2] سورة الغاشية: آية ١٧- ٢٠
[3] سورة الطارق: آية ٥.
[4] يوسف الدجوي: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي ، ٤٦٢/١.
[5] السابق، ١/ ٤٦٧.
[6] عبدالله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، من كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت، ص٣٣٤.
[7] عادل مصطفى : المغالطات المنطقية (فصول في المنطق غير الصوري)، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩، ص٦٥.
[8] السابق، ص٦٦، ٧٣.
[9] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص١٠٢.

ولكن الدكتور وحده قد أدرك أن كلهم واهمون، وأن الخبط أو كما يسميه الصدفة هي الناموس الأعظم الذي أوجد الكون ..."[١]

فلم يقدح فريد وجدي في شخص أدهم قدحًا مباشرًا، إنما استند إلى معايير معرفية تثبت وقوعه في تناقضات علمية تصرف المتلقين عن تصديقه واتباعه.

- قول الشيخ يوسف الدجوي: "من أنكر وجود الله لم يزد على أن قال عن نفسه إنه **مجنون** ... فمن تصور أن يوجد أثر بلا مؤثر ونظام بلا منظم وأشياء متقنة كل الإتقان بلا صانع حكيم، فهو **أجهل من الحمار**. ولكننا نتنزل فنسمي هذا الصنف من الناس **بحمير البشر**"[٢]

"أبنا فيما كتبناه قبلاً أن منكر وجود الله **مصاب بأفظع أنواع الجنون**، وأن الواجب حذفه من سجل الإنسانية، ويجب أن نتحاماه كما نتحامى المصاب بالجذام، ولا نغتر بصورته الظاهرية فإنه في الحقيقة **غير إنسان**"[٣]

فالشيخ الدجوي في رده على أدهم لم يقم بالرد مزاعمه بحجج مضادة مثبتًا خطأها، إنما لجأ إلى توظيف حجج شخصية تقدح في شخص أدهم وتسيء إليه؛ كوصفه بالجنون، والجهل، نفي صفة البشرية عنه.

ويعد حجاج وجه الذات حجاجًا مغالطيًا؛ لكن هناك مواطن وسياقات يكون فيها غير مغالط؛ وذلك عندما يكون الطعن في الشخص من حيث السمات الأخلاقية والسلوكية والكفاية العقلية والإدراكية واتساق عباراته غير خارج عن موضوع الحجاج، وبالتالي غير مغالط من الوجهة المنطقية[٤]، وهو ما يتحقق في سياق خطاب الإيمان.

يلاحظ أن د. أحمد زكي أبوشادي لم يوظف في خطابه ذلك النوع من الحجج الشخصية، إنما توجه إلى الموضوع نفسه، وطعن فيه موظفًا ألفاظًا انفعالية تشكك في صدقها وصحتها؛ وذلك مثل:

قوله في سياق حديثه عن نظرية الاحتمال التي يدعي أدهم خضوع الكون لها: "وكل نظري محض قائم على فروض حسابية لا تقع عمليًا هو في **حكم اللغو أو السفسطة المنطقية** بالنسبة للإنسان ولو كان صوابًا من الوجهة الرياضية الكونية".[٥]

فقد طعن في النظريات غير القابلة للتطبيق في الواقع العملي بوصفها لغوًا أو سفسطة، وهو بذلك يشكك في صحتها؛ ومن ثم صحة النتائج المترتبة عليها.

كما أنه في موضع آخر من مقاله أثبت إقرار أدهم في أحد مؤلفاته بما نفاه في رسالته عن الإلحاد بقوله: "درست نظريات وتجاريب شتى لطائفة من رجال الفلسفة والتاريخ والدين والعلم فانتهيت إلى نظريتي التي حبذها الدكتور ريتشارد بل Richard Bel الأستاذ بجامعة إدنبرة، ألا وهي أن الإحساس بالألوهة إحساس فطري شبه غريزي، وهو انجذاب الجزء نحو الكل، وقد أشار الدكتور أدهم نفسه إلى ذلك في دراسته الإنجليزية عني وفي سواها كتاباته النقدية. وهذا الإحساس له قوام علمي من حيث إننا ذرات كهربائية في كون مكهرب ..."[٦]، ولكن يبدو من السياق أن إثبات هذا التناقض لم يكن للطعن في أدهم، إنما كان في إطار موضوعي غير مسيء لشخصه.

---

[١] السابق، ص٩٩.

[٢] يوسف الدجوي: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي، ١/ ٤٥٦،٤٥٧.

[٣] السابق، ١/ ٤٦١.

[٤] عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، ص٦٨.

[٥] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٨٠.

[٦] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٧٠، ٧١.

التفنيد:

فند أحمد زكي أبو شادي مزاعم أدهم حول نشأة العالم، في نحو قوله: "... وعلى هذا لا محل لتوهم الفوضى التي تجعلنا نصغر عقيدة الألوهة وكل ما يُمت إليها بسبب، **ومن الواجب أن نتذكر أن حقائق الاحتمال الرياضي اللانهائي هي صادقة نظريًا بالنسبة للكون لا بالنسبة للإنسان ذاته أو بالنسبة للإنسانية جمعاء** في عمرها المحدود أو بالنسبة للكرة الأرضية..."[1]

فقد استعمل أبو شادي أسلوب الإضراب في تفنيده لرأي أدهم حول قيام الكون على قانون الاحتمال؛ فصنع ارضية مشتركة بينهما بأن وافق على صدق نظرية الاحتمال الرياضي؛ لكنه استدرك بأنها لا تصلح للتطبيق في الواقع المعيش، ليدحض بذلك فكرته ويبطلها.

كذلك فند الأستاذ محمد فريد وجدي أفكار أدهم في خطابه، ورد عليها بحجج مضادة؛ وذلك مثل:

"يعبر الدكتور عن رأيه في الخبط بقوله: "قانون الصدفة الشامل" فهل تسلم له هذه التسمية؟ المعروف أن الخبط، وهو يسميه الصدفة، هو اللا نظام المحض، والفوضى المجردة من كل قانون ضبط ... إن الكاتب قد أكثر من ذكر قوانين الاحتمال، ولكنها عندنا **لم** تسم بالقوانين **إلا لأنها** تطبق على موجودات منتظمة، وقد اكتشفها الفلكي لابلاس للترجيح لا للجزم، ورتبها على حوادث جارية على النظم الطبيعية المقررة لا على حوادث خيالية لا وجود لها. فكيف يطبق حساب الاحتمال العلمي على عالم الخبط المحض الذي لا أثر للنظام فيه، ولا قيام لكائن منتظم معه؟ وإذا كان الوصف المميز للخبط هو خلوه من كل قانون، فكيف يلحق به نظام رياضي محض كحساب الاحتمال القائم على قوانين ثابتة ونظم مستقرة؟ من العالم المحسوس الذي يعترف الكاتب بأنه قائم على أصول رياضية؟"[2]

فقد رد على زعم أدهم أن الصدفة قانون، موظفًا أسلوب القصر والروابط السببية والاستفهامات التعجبية التي تبطل زعمه وتدحضه.

لم يقم الشيخ يوسف الدجوي بتفنيد ما أتى به إسماعيل أدهم في خطابه الإلحادي، إنما فند بعضًا من أقوال من ردوا على ذلك الخطاب، وأقروا حريته في أن يقول ما يشاء بدعوى حرية الاعتقاد التي كفلها الإسلام والدستور، وذلك في نحو قوله:

-"فإن كان كاتبه مغترًا بحرية الاعتقاد التي كفلها الدستور، فليعلم أنه **أخطأ** في فهم الدستور، كما أنه **أخطأ** في فهم الدين والعلم. فإن الدستور كفل له أن يعتقد ما شاء في خاصة نفسه، **لا أن يدعو الناس إلى الكفر والخروج عن دين الدولة الرسمي**، وانتهاك مقدساتها ونشر الفساد وإثارة الفتن التي لا يعلم مدى غايتها إلا الله تعالى، خصوصًا في مثل تلك العقيدة الفطرية المتأصلة في النفوس تأصلاً لا يزعزعه شيء، بل هو يأتي على كل شيء."[3]

فقد وظف في حجاجه المضاد حجة شخصية بوصفه بالمخطئ في فهم الدستور والدين والعلم، وأخرى لغوية وهي الاستدراك حيث أقر من خلاله حرية أدهم الشخصية في اعتقاد ما يشاء، لكنه نفى أحقيته في أن ينشر معتقده المتنافي مع قواعد العقل وأحكام الدين ودستور الدولة؛ لما في ذلك من إفساد للناس والدولة.

حجاج بالقوة:

[1] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٨٢.

[2] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص١٠٤، ١٠٥.

[3] يوسف الدجوي: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي، ١/ ٤٥٢.

"هو احتجاج يسعى صاحبه إلى حمل المخاطب على سلوك معين أو على عمل معين سعيًا يستند إلى التهديد"[١]، ويظهر في محاولة الشيخ الدجوي حمل أدهم على تغيير معتقده الإلحادي عن طريق اللجوء إلى قوة الحكومة وسلطتها ومخاطبة رجالها، وذلك في نحو:

-قوله: "إن الحكومة تعاقب من يتكلم في الوزارة بما يمس شرفها، أو ينقص من كرامة أشخاصها، أو يمس القانون والدستور، فما لها لا تهتم هذا الاهتمام، أو شيئًا من هذا الاهتمام، يحماية دين الدولة من طعن الطاعنين وسفه الجاهلين؟! وهل حماية الدستور أعظم في نفوس الأمة من حماية دينها؟..."[٢]

-وقوله: "ولنقل مرة أخرى لزعمائنا وحكامنا: إن لم تعملوا لدينكم فاعملوا لدنياكم. أما حرية الأديان والمعتقدات التي يستند إليها الجاهلون فمعناها أن كل أحد يعتقد ما شاء ويتدين بما أراد، لا أن يجرح القلوب ويطعن في العقائد، ويسفه الأحلام وينشر النشرات، ويؤلف المؤلفات، ويهيء الجمعيات والدعيات كما فعل إسماعيل أدهم المعترف بذلك كله في كتابه. فأين هذا من ذاك يا رجال القانون؟!"[٣]

فمخاطبته الدجوي للحكومة ورجال القانون فيه تهديد لأدهم ليرجع عن أفكاره بدافع الخوف من بطش الحكومة أو المحاسبة القانونية، وهو ما حدث بالفعل عندما اقتحمت الحكومة منزله وصادرت مؤلفاته.

والحجاج بالقوة في هذا المقام صائب ومنطقي؛ لأنه ذو صلة مباشرة بنتيجة الحجة، ولأن موضوع الحجة نفسه يمثل خطرًا على الفرد والمجتمع[٤].

ويلاحظ أن الحجاج بالقوة لم يستعمله من أصحاب خطاب الإيمان سوى الشيخ الدجوي؛ حيث إنه انطلق في خطابه العقدي معتمدًا على سلطته بوصفه عالمًا أزهريًا عضوًا في لجنة كبار العلماء، ينتمي إلى الأزهر تلك المؤسسة العريقة التي يقصدها المسلمون من شتى بقاع الأرض ليتعلموا أمور دينهم.

كما أنه لم يفند كل ما أتى به إسماعيل أدهم في رسالته؛ بل وظف حججًا شخصية، وأخرى منطقية مستمدة من الدين والفلسفة والعلوم لتدحض مزاعم أدهم في رسالة الإلحاد، كما وضع افتراضات وقام بالرد عليها، محاولاً تثبيت العقيدة في نفوس المتلقين المسلمين بالفعل.

جعلت السلطة الدينية للأزهر خطاب الشيخ يوسف الدجوي ـ أحد علماء الأزهر ـ أكثر جرأة في مواجهة الخطاب الإلحادي؛ فوظف حججًا متنوعة، أغلق بها كل أشكال التواصل والحوار مع الطرف المعارض.

على العكس منه يأتي الأستاذ محمد فريد وجدي، فقد نشر خطابه في مجلة الأزهر؛ لكنه لم يكن شيخًا أزهريًا يتولى موقعًا سلطويًا، وإنما يمثل خطابه خطابًا غير رسمي. وقد قام بتفنيد رسالة الإلحاد عن طريق الرد أو الحجاج المضاد ولم يوظف أي حججًا شخصية.

بينما يأتي خطاب أحمد زكي أبو شادي خطابًا غير ديني، وغير رسمي، يمثل تيار المثقفين، يحمل طابعًا تضامنيًا مع إسماعيل أدهم، محترمًا ومقدرًا لحرية الفكر، متحدثًا عن سماحة الإسلام والحرية التي كفلها وقيامه على العقل والعلم، وعقيدة الألوهية التي يؤمن بها ويقرها ولا يرضى عنها بديلاً.

التضامن مع حرية الفكر:

[١] محمد النويري: الأساليب المغالطية مدخلاً في نقد الحجاج، ص٤٢٦.
[٢] يوسف الدجوي: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي، ١/ ٤٧٦.
[٣] السابق، ١/ ٤٧٨.
[٤] عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، ص١٠٠

يلاحظ في خطابي أبي شادي وفريد وجدي تضامنًا مع حرية الفكر، والنظر إلى رسالة أدهم في إطار تلك الحرية، ويبدو ذلك في نحو:

قول أبي شادي في بداية خطابه: "لا بد لي أولاً من أن أشكر لصديقي الكاتب الحر رئيس تحرير الإمام رعايته لحرية الفكر ولو جاء ما ينشره ضد آرائه وآراء خاصة أصدقائه"[١]

وقول فريد وجدي في مستهل مقاله: "إن انتشار العلوم الطبيعية، وما تواضعت عليه الأمم المتمدنة من إطلاق حريات الكتابة والخطابة للمفكرين في كل مجال من مجالات النشاط العقلي، استدعت أن يتناول بعضهم البحث في العقائد، فنشأت معارك قلمية بين المثبتين والنافين تمحصت بسببها حقائق، وتبينت طرائق، وآمن من آمن عن بينة، وألحد من ألحد على عهدته. ونحن الآن في مصر، وفي بحبوحة من الحكم الدستوري، نسلك من عالم الكتابة والتفكير هذا المنهاج نفسه، فلا نضيق ذرعًا مادمنا نعتقد أننا على الحق المبين ... فلم يزدد الدين حيال هذه الحرية العقلية إلا هيبة في النفوس، وعظمة في القلوب وكرامة في التاريخ"[٢] .

ولعلهما قد أرادا بهذه الروح الودية التضامنية استقطاب أدهم ليعيد تفكير في معتقداته الدينية، فيعود عن فكره الإلحادي.

الخاتمة:

وضحت الدراسة على مدار مدخل نظري يؤسس لمقاربة التحليل النقدي للخطاب، وثلاثة مباحث تطبيقية تكشف عن سياق خطابي الإلحاد والإيمان والبنى النصية المُشكلة لهما، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج تتمثل في:

- عبر بنى نصية مختلفة، مارس إسماعيل أدهم التضليل في خطابه لدعوة المجتمع المسلم إلى الإلحاد.
- مارس أصحاب خطاب الإيمان السيطرة على المجتمع بهدف الحفاظ على عقيدته الصحيحة وإبطال دعوى الإلحاد.
- على الرغم من رفض المجتمع للخطاب الإلحادي، فقد تبيانت حدة الرفض؛ فهناك من غلب على رفضه الطابع الهجومي وألب القنوات الشرعية على صاحب الخطاب. وهناك من أقر بحرية الاعتقاد ورد بشكل موضوعي مستعملاً التفنيد بالرد والحجج المضادة والإضراب.
- تُعنى البنى الدلالية للنص بالمحتوى العام له، ومن العناصر الكاشفة لها: عنوان الخطاب، وتحديد موضوعه.
- يُحدد موضوع الخطاب عن طريق تطبيق أربع قواعد: الحذف، والتعميم، والاختيار، والدمج.
- يحمل عنوان خطاب الإلحاد دعوة ضمنية لنشر الفكر الإلحادي في المجتمع.
- البنية الكبرى للخطاب الإلحادي تضم عددًا من الموضوعات المتمثلة في أسباب إلحاد الكاتب، وشعوره بالاستقرار النفسي المصاحب لإلحاده، وصولاً إلى القضية الكبرى المتمثلة في أن العالم قائم على الاحتمال والصدفة.
- أتت البنية اللغوية لخطاب الإيمان الصادر عن كل من أحمد زكي أبي شادي ومحمد فريد وجدي معارضة للبنية اللغوية لخطاب إسماعيل أدهم الإلحادي؛ حيث تحاكيه في البنية الاستفهامية السائلة عن السبب؛ مما يبرز وجود علاقة بين الخطابين.

[١] أحمد زكي أبو شادي: لماذا أنا مؤمن؟، ص٦٨.

[٢] محمد فريد وجدي: لماذا هو ملحد؟، ص٨٤.

- صدر خطاب الإيمان لدى الشيخ يوسف الدجوي في سلسلة مكونة من أربعة مقالات، يحمل عنوانها شحنة انفعالية تستثير المتلقين (حكومة وشعبًا) ليشعروا بخطورة ظهور مثل هذه الدعوة الإلحادية في الأراضي المصرية المسلمة، ولتحملهم على اتخاذ رد فعل قوي تجاه هذه الدعوة.
- اشتركت خطابات الإيمان الثلاثة في الموضوع وهو إثبات عقيدة الألوهية والتوحيد، ودحض عقيدة الإلحاد ومزاعمها.
- تعمل البنى الدلالية لخطابي الإلحاد والإيمان في إطار البنية العليا الحجاجية.
- الوظيفة البراجماتية لخطاب إسماعيل أدهم هي نشر الفكرة الإلحادي في المجتمع العربي المسلم، من خلال استثارته عاطفيًا بإشراكه في تجربته الذاتية، ومن خلال استعمال حجج منطقية ولغوية.
- من تقنيات الحجاج الموظفة في خطاب الإلحاد: المثال والتمثيل، والتأثير العاطفي، والاستغلاق، والسلطة.
- تنتمي الحجج التي وظفها إسماعيل أدهم في خطابه الإلحادي إلى الحجاج المغالطي؛ حيث يهدف ممنها إلى تضليل المجتمع والسيطرة عليه ليعتنق مذهبه الإلحادي ويتخلى عن عقيدة التوحيد.
- اشترك مرسلو خطاب الإيمان في الوظيفة البراجماتية العامة وهي دحض دعوة الإلحاد التي حاول إسماعيل أدهم نشرها في خطاب، وإبطال مزاعمه، وإثبات عقيدة الإيمان بالله.
- من التقنيات الحجاجية الموظفة في خطاب الإيمان: السلطة، وحجاج وجه الذات، والتفنيد، وحجاج بالقوة.
- يلاحظ أن لجوء كُتاب خطاب الإيمان إلى السلطة العلمية والفلسفية؛ لأن أصحابها هم أساطين العلم الطبيعي الذين يستند إليهم أصحاب الدعوات الإلحادية، فمن خلال أقوالهم يتبين أن العلم الطبيعي بريء مما نُسب إليه كذبًا.
- انفرد الشيخ الدجوي بتوظيف السلطة الدينية (آيات قرآنية، وأحاديث نبوية) والأمثلة المستمدة من التاريخ الإسلامي؛ وذلك لأنه لم يكن مخاطبًا لأصحاب الدعوات الإلحادية فقط، إنما كان مخاطبًا لعموم المتلقين في المجتمع المسلم الذين يُخشى عليهم الاستجابة لأفكار الإلحاد.
- في حجاج وجه الذات لم يقدح الأستاذ محمد فريد وجدي في شخص أدهم قدحًا مباشرًا، إنما استند إلى معايير معرفية تثبت وقوعه في تناقضات علمية تصرف المتلقين عن تصديقه واتباعه. بينما وظف الشيخ الدجوي حججًا شخصية تقدح في شخص أدهم وتسيء إليه.
- لم يوظف أحمد زكي أبوشادي في خطابه حججًا شخصية، إنما توجه إلى الموضوع نفسه، وطعن فيه موظفًا ألفاظًا انفعالية تشكك في صدقها وصحتها.
- وظف كلٌ من أحمد زكي أبي شادي وفريد وجدي تقنية التفنيد باستعمال الرد والحجج المضادة والإضراب، بينما لم يستعمل الشيخ الدجوي هذه التقنية في رده على خطاب الإلحاد.
- لم يستعمل الحجاج بالقوة من أصحاب خطاب الإيمان سوى الشيخ الدجوي؛ حيث إنه انطلق في خطابه العقدي معتمدًا على سلطته بوصفه عالمًا أزهريًا عضوًا في لجنة كبار العلماء، ينتمي إلى الأزهر تلك المؤسسة العريقة التي يقصدها المسلمون من شتى بقاع الأرض ليتعلموا أمور دينهم.
- يلاحظ في خطابي أبي شادي وفريد وجدي تضامنًا مع حرية الفكر، والنظر إلى رسالة أدهم في إطار تلك الحرية، بينما رفض الشيخ الدجوي هذا التضامن وفند بعضًا من أقوال من أقر تلك الحرية.

المصادر والمراجع

أسامة السيسي: الحجاج المغالطي في أدب المحتالين (موسوعة أدب المحتالين) للدكتور عبد الهادي حرب أنموذجًا، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ٢٠٢٠،

حافظ علوي ومحمد أسيداه: اللسانيات والحجاج ـ الحجاج المغالط: نحو مقاربة لسانية وظيفية، من كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته"، عالم الكتب، الأردن، ٢٠١٠.

حسام فرج: نظرية علم النص، مكتبة الآداب، مصر، ٢٠٠٩

خالد مزعل: مصطلحا البنية الكبرى والبنية العليا عند فان دايك، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العراق، ع(١٨)، السنة العاشرة، ٢٠١٦.

خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.

رجاء النقاش: تأملات في تاريخ الإنسان، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٩، ط٦،

سعيد بكار: التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، مجلة الخطاب، الجزائر، مج١٦، ع ٢، جوان ٢٠٢١.

عادل مصطفى: المغالطات المنطقية (فصول في المنطق غير الصوري)، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩.

عبدالله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، من كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت.

عزة شبل: علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، مكتبة الآداب، مصر، ط٢، ٢٠٠٩.

فان دايك: دراسات الخطاب النقدي (المقاربة المعرفية الاجتماعية)، من كتاب "مناهج التحليل النقدي للخطاب"، تحرير: روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة: حسام فرج وعزة شبل، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٤

فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط١، ٢٠٠١

كورنيليا فون راد-صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، منوبة، ٢٠٠٣.

لماذا أنا ملحد؟ معركة الإلحاد والإيمان على شرف إسماعيل أدهم، (د.ت)، موقع (إسلام أون لاين)، تم الاسترداد بتاريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠٢٣ من:
https://islamonline.net/archive/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%A3%D9%86%D8%A7-%D9%85%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%9F/

محمد العمري: دائرة الحوار ومزالق العنف (كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٢.

محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦.

محمد النويري: الأساليب المغالطية مدخلاً في نقد الحجاج، من كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت.

محمد فريد وجدي، أحمد زكي أبو شادي، إسماعيل أدهم: حوار الإيمان والإلحاد، دارسة وتحقيق: محمد عمارة، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، السنة التاسعة والأربعون، ٢٠١٨.

محمد يطاوي: التحليل النقدي للخطاب (مفاهيم ومجالات وتطبيقات)، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ط١، ٢٠١٩.

مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

يوسف الدجوي: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، مصر، ١٩٨١.

Sources and references

Alawi , Hafez and Asidah , Muhammad: Linguistics and Argumentation - Fallacy Argumentation: Towards a Functional Linguistic Approach, from the book “Argumentation: Its Concept and Fields”, World of Books, Jordan, 2010.

Al-Naqash, Rajaa: Reflections on Human History, Dar Al-Mariikh, Riyadh, 1989, 6th Edition.

Al-Nuweiri, Muhammad: Fallacy's Methods as an Introduction to Criticism of argumentation, from the book "The Most Important Theories of argumentation in the Western Traditions from Aristo to Today", University of Arts and Humanities, Tunis.

Al-Omari, Muhammad: On the Rhetoric of Persuasive Discourse, Dar Al-Thaqafa, Casablanca, 1st edition, 1986.

Al-Omari, Muhammad: The Circle of Dialogue and the Pitfalls of Violence (Exposing Methods of Advertisement and Fallacy as a Contribution to the Synthesis of Discourse), East Africa, Beirut, 2002.

Al-Zarkali , Khair Al-Din: Al-Aʿlaam, Dar Al-ʿilm for Millions, Beirut, 2002.

Baker (Paul) & Ellece (Sibonile), (2011), Key Terms in Discourse Analysis, London, New York, Continuum International Publishing Group.
Baker (Paul) & Ellece (Sibonile), (2011), Key Terms in Discourse Analysis, London, New York, Continuum International Publishing Group.
Bakkar, Saeed: Critical Analysis of Discourse: Its Concept and Approaches, Al-Khitaab Journal, Algeria, Vol. 16, No. 2, June 2021.

El-Sisi ,Osama: Fallacy Argumentation in the Literature of the Fraudsters (Encyclopedia of the Literature of the Fraudsters) by Dr. Abdel-Hadi Harb as a model, Journal of the Faculty of Arts, Tanta University, Egypt, 2020,

Farag , Hossam: Theory of Text Grammar, Library of Arts, Egypt, 2009

Mezal, Khaled: The terms "Macrostructure" and "Superstructure" according to Van Dijk, Journal of the College of Education for Girls for Human Sciences, University of Kufa, Iraq, p. (18), tenth year, 2016.

Mostafa, Adel: Logical Fallacies (Chapters on Non-Formal Logic), Hindawi Foundation, 2019.

Muhammad Farid Wajdi, Ahmed Zaki Abu Shadi, Ismail Adham: Dialogue of Faith and Atheism, study and investigation: Muhammad Emara, Islamic Research Academy Series in Cairo, the forty-ninth year, 2018.

Sabry, Mustafa: The Attitude of Mind, Science and the World to the Lord of the Peopel and His Messengers, Dar Revival of Arab Heritage, Beirut, 2nd edition, 1981.

Sakouhi, Cornelia von Rad: Argumentation in the School Place, Publications of the Faculty of Arts, Manouba, 2003.

Shebl, Azza: Lingustics of Text (Theory and Application), Library of Arts, Egypt, 2nd Edition, 2009.

Sola, Abdullah: Argumentation (its frameworks, principles and techniques), from the book "The Most Important Theories of Argumentation in Western Traditions from Aristo to Today", University of Arts and Humanities, Tunis.

Structures in Discourse, Interaction, and Cognition, Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey.

Van Dijk (Teun A.), Critical Discourse Studies: A Sociocognitive Approach, shorter and partly rewritten version of the author's contribution to Wodak, R. and Meyer, M. (eds) (2002) *Methods of Critica(Discourse Analysis.*London: Sage, pp. 95-120.
Van Dijk (Teun A.), Critical Discourse Studies: A Sociocognitive Approach, shorter and partly rewritten version of the author's contribution to Wodak, R. and Meyer, M. (eds) (2002) *Methods of Critica(Discourse Analysis.*London: Sage, pp. 95-120.

Van Dijk (Teun A.), (1980), Macrostructures: An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse, Interaction, and Cognition, Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey.
Van Dijk (Teun A.), (1980), Macrostructures: An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse, Interaction, and Cognition, Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey.

Van Dijk, The Grammar of the Text: An Interdisciplinary Approach, Translated by: Saeed Behairy, Cairo Book House, Egypt, 1st Edition, 2001

Van Dijk: Studies of Critical Discourse (Social Cognitive Approach), from the book "Methods of Critical Analysis of Discourse", Edited by: Ruth Fodak and Michelle Meyer, Translated by: Hossam Farag and Azza Shebl, The National Center for Translation, Egypt, 2014

Why am I an atheist? The Battle of Atheism and Faith in Honor of Ismail Adham, (D.T), (Islam Online) website. Retrieved on 5/29/2023 from: https://islamonline.net/archive/%D9%84%D9%85% D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%A3%D9%86%D8%A7-%D9%85%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%9F/

Yatawi, Muhammad Yatawi: Critical Analysis of Discourse (Concepts, Fields and Applications), Arab Democratic Center for Strategic, Political and Economic Studies, Berlin, 1st Edition, 2019.

Yusuf Al-Degwi: Articles and Fatwas of Sheikh Yusuf Al-Degwi, Publications of the Islamic Research Academy, Egypt, 1981.